التماسك النصي
دراسة تأصيلية في التراث اللغوي العربي

الأستاذ الدكتور
مثنى فاضل ذيب
الجامعة العراقية – كلية الآداب

الدكتور
أحمد أسامة علاء الدين
الجامعة العراقية – كلية التربية

The impact of collective learning in the development of technical training for studentsArt education

Dr. Safa Mohammed Namq

Dr. Hassan Jarallah Jamagh

ملخص البحث

إنَّ دراستي لمعنى النص القرآني عند علماء العربية ضمن مفهوم علم النَّصّ الحديث، جعلتني أقفُ على حقيقة مفادُها أنَّ التحليلَ النَّصِّيَ عند علماء العربية يضاهي التحليلَ النصيَ الحديثَ ويعكسُ عمقَ إدراكِهم لمعاني الآياتِ الكريماتِ، ويعكسُ كذلك قِدَم التحليلِ النَّصِّيِ عندهم. والفرق بين تحليلهم لمعنى النص وبين تحليل الباحثين المحدثين يكمنُ في المصطلح ووضوح الحدودِ الفاصلة بين النَّصِّ والجملةِ عند المحدثين.

Abstract

My study of the meaning of the Qur'anic text among Arab scholars within the concept of modern text science has made me stand on the fact that the textual analysis of Arab scholars is analogous to modern textual analysis and reflects their deep understanding of the meanings of the Qur'anic verses. The difference between their analysis of the meaning of the text and the analysis of modern scholars lies in the term and clarity of the boundaries between text and sentence in modernists.

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ العلمَ ضياءً والقرآنَ نورًا، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ في الأميين معلمًا ورسولًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ...

قد جاء هذا البحث من أجل تأصيلُ قِدَمِ البحثِ اللسانيِّ النصّيِّ عندَ علماءِ العربية، وبيانُ جَهْدِهِم في هذا الحقلِ اللغويِ الكبير؛ ضمنَ مفاهيمِ علمِ النَّص أو تحليلِ الخطاب، الذي جاء به الباحثون اللغويون المحدثون.

وقُسِّمَ البحثُ على ثلاثة مباحث استقصيتْ فيها عناصر التماسك النصي، وهذه المباحث هي:

- المبحث الأول: (السبكُ النصِّيُ): وتناولته فيه السبكَ النصيَ بنوعيه: (المعجمي، والنحوي).
- المبحث الثاني: (الحبكُ النَّصيُ): وتناولت فيه الحبكَ النصيَ من حيثُ العلاقاتُ التي تربطُ بين أجزاء الخطاب، من حيثُ (العامُ وتخصيصه) و(المجملُ وتفصيله).
- المبحث الثالث: (التناصُ القرآنيُ): وتناولت فيه مفهومَ التناصِّ القرآنيِّ المغايرِ لمفهومِ التناصِّ عندَ الباحثين النصيين المحدثين.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا البحث مستل من أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث (د.أحمد أسامة علاء الدين)، وعنوانها: (دراسة المعنى عند أبي العباس المهدوي ت٤٤٠ه)، والتي جرتْ تحت إشراف (أ.د مثنى فاضل ذيب). والسبب في استلال هذا البحث هو النتائج التي خرج بها والتي تثبت قدم البحث النصّيّ عند علماء العربية الذين سبقوا المهدوي ممن أصَّلْتُ عندهم ما ذكره المهدوي بما جاء في كتبهم. وأوضحنا فيه الفرق بين تحليلهم لمعنى النص وبين تحليل الباحثين المحدثين أنَّه يكمن في المصطلح ووضوح الحدود الفاصلة بين النَّصِّ والجملة عند المحدثين.

وختامًا اللهم اجعلنا ممن يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنَه، والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

توطئة
(علم النص والمعايير النصية)

لم يُجْمِع اللسانيون المحدثون على تعريف جامع مانع للنص ضمن حدود (علم النّص) و(تحليل الخطاب)؛[١] فمنهم من جعل النَّص بسيطًا، ومنهم من جعله معقدًا، فـ(النَّص البسيط) عندهم يتألف من كلمة واحدة، أو من كلمات قليلة تجعل تركيب النَّص قريبًا من تركيب (الجملة) وهذا النوع من النصوص نجده عند (برينكر)، قال الدكتور أحمد عفيفي: ((يذهب برينكر الذي يعرف النّص، بأنَّه: تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أيّة وحدة لغوية أخرى أشمل فالنَّص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملًا، وإنَّما أجزاء متوالية. وبهذا نرى أنَّ النص يمكن أنْ يكون كلمة مفهومة، أو جملة لا تندرج تحت وحدة أشمل)).[٢] وكذلك نجده عند (هارتمان)، قال الدكتور سعيد بحيري: ((يرى هارتمان أنَّ اللغة المستخدمة في الواقع هي الموضوع الفعلي، العلامة الفعلية؛ أي: اللغوية المنظمة، وهذه العلامة -في العادة- هي النَّص، وبمعنى أدق هي نص بعينه...ويحدد النّص وفْقَ ذلك بأنَّه: أيُّ قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام)).[٣] أمَّا (النَّص المعقد) عندهم فيتألف من متتالية من الجملة، وهذا النوع من النصوص نجده عند هاليداي ورقية حسن، قال الدكتور محمد خطابي: ((تشكّل كل متتالية من الجمل -كما يذهب هاليداي وحسن- نصًّا، شريطة أنْ تكون بين هذه الجمل علاقات)).[٤] وكذلك نجده عند لسانيين آخرين، قال الدكتور أحمد عفيفي: ((ويذهب برنكر، وإيزنبرج، وشتاينتز، وغيرهم، إلى أنَّ النص، تتابع مترابط من الجمل)).[٥]

إلَّا أنَّ التعريفات السابقة للنص لا تتضمن الجانب التداولي والتواصلي للنص؛ لذلك فقد عرَّفه الدكتور سعيد بحيري مراعيًا هذا الجانب في النص؛ بأنَّه: ((مجموعة من الأحداث الكلامية، التي تتكون من مرسل للفعل اللُّغوي ومُتَلَقٍّ له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل)).[٦]

وعند الحديث عن الجانب التواصلي للنص لابد من التمييز بين نوعين من النصوص من حيث الطبيعة التواصلية، الأول منهما: (النص التواصلي)؛ وهو ما نجده في تعريف (بوجراند) و(درسلر)، وذلك في قولهما: ((نعرف النص، بأنَّه: واقعة اتصالية تفي بالمعايير السبعة

للنصية)).[٧] فهما يضيفان للجانب التواصلي سبعة معايير لابد أنْ يتوافر عليها النص، وسأفصل القول فيها لاحقًا. والثاني منهما: (النص غير التواصلي)؛ مثل (المذكرات الخاصة)؛ لأنَّها تفتقد المتلقي،[٨] ويصف الدكتور عبد الناصر لقاح هذا النوع من النصوص، بأنَّه: ((حالة ذاتية عارضة تحقق فيها الذات المتكلمة أبعادها في عفوية أو تمحل وتصنع، وتعدل بها عن القواعد أو لا تعدل، والابداعية المتصلة بهذا المعنى للنص باعتباره انجازًا فرديًا)).[٩]

و(النَّص) لابد من أنْ تتوافر فيه المعايير السبعة للنصية التي قال بها (بوجراند) و(درسلر)، وهي: (السبك بالربط النحوي)، و(الحبك بالتماسك الدلالي)، و(المقصدية)، و(المقبولية)، و(الإبلاغية)، و(الموقفية – التناص)، و(السياق – رعاية الموقف).[١٠]

وهذه المعايير السبعة التي وضعها (بوجراند) و(درسلر)، منها ما يتصل بـ(السياق اللغوي) للنَّص، وهما معيارا: (السبك) و(الحبك)، ومنها ما يتصل بـالسياق غير اللغوي (الخارجي) للنص، وهي معايير: (التناص) و(السياق) و(الإعلامية)، ومنها ما يتصل بـ(منتج النص والمتلقي له)، وهما معيارا: (القصد) و(القبول).[١١]

فـ(علم النَّص) يرتبط بالسياقين الداخلي والخارجي للنَّص ومهمته بيان الترابط بينهما عند استعمال النَّص في الاتصال اللغوي؛ قال (فان دايك) موضحًا هذه المهمة لعلم النَّص: ((ويرى علم النص أنَّ مهمته هي أنْ يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة، في ترابطها الداخلي والخارجي)).[١٢]

والنَّص القرآني الكريم له سياقان: (لغوي – داخلي)، و(غير لغوي – خارجي). و(السياق اللغوي) للنص الكريم، يمكن دراسته من وجهة نظر (علم النَّص)، عبر معياري: (السبك) و(الحبك)؛ اللذين بمجموعهما يتحقق (التماسك النصي القرآني) الذي هو عماد البحث هنا؛ لأنَّ (السبك) ببعديه (النحوي والمعجمي) يمثل التماسك السطحي للنص؛ لكونه يتحقق بروابط ملفوظة على سطح النص، أمَّا(الحبك) فيمثل التماسك الدلالي (العميق) المفهوم بين أجزاء النص؛ فهو لا يتحقق بروابط ملفوظة مثل سابقه ولكنَّه يتحقق بروابط دلالية مفهومة تربط بين أجزاء النص.

أمَّا السياق غير اللغوي (الخارجي) للنص الكريم، فيمكن دراسته من وجهة نظر (علم النَّص) عبر معايير: (التناص، والسياق، والإعلامية، والقصد، والقبول)، والبحث هنا مقتصر على (التماسك النصي)، فلهذا لن أتناولها مخرجًا إياها من ميدان البحث.

ودراسة (معنى النص القرآني) كـنص تواصلي تتحقق فيه المعايير النصية؛ وخاصَّةً معياري (السبك) و(الحبك) سيتضح في الجانب التطبيقي من هذا الفصل المتمثل بالشواهد القرآنية الدَّالَّة على الإلمام بـ(التماسك النصي القرآني) عند علماء العربية؛ سواء أكان على مستوى الآية الواحدة أم الآيات المتعددة، وهذه العناية يمكن بيانها بما استخرجته من الأمثلة الدالة على (التماسك النصي القرآني) بشقيه: (السبك) و(الحبك)، وكذلك بـ(التناص القرآني) بمفهومه عند الدكتور تمام حسان والذي يدخل ضمنًا في التماسك النصي القرآني؛ لأنَّه قائم على فكرة (تفسير القرآن بالقرآن)؛ فيكون (التناص) هنا وفقًا لهذا المفهوم متصلًا بالنص نفسه، لا متصلًا بالسياق الخارجي له كما هو متعارف عليه عند الباحثين النصيين وفقًا لمفهوم (التناص).

أمّا فيما يخص الجانب التنظيري للتماسك النصي في التراث اللغوي العربي من حيث التقسيمات والتعريفات، فإنِّي سأذكر ما التمسته عند علماء العربية من جوانب نصية قريبة من مفهوم (علم النَّص) الحديث؛ عند تناولهم للنص القرآني وبيان معناه.

وحتى يتضح التماسك النصي عند علماء العربية في تراثهم اللغوي، تحتم عليَّ أنْ أقسم هذه الدراسة على ثلاثة مباحث تمثل بمجموعها (التماسك النصي القرآني)، وهذه المباحث على الترتيب:

المبحث الأول: السبك النصي (Cohesion).

المبحث الثاني: الحبك النصي (Coherence).

المبحث الثالث: التناص القرآني.

المبحث الأول

(السبك النصي) : (Cohesion)

سأتناول في هذا المبحث مفهوم (السبك النصي) عند علماء العربية وعند الباحثين المحدثين، من أجل بيان سبق علماء العربية للباحثين المحدثين في مجال التحليل النصي، ودليل

سبقهم ما سأذكره من الأمثلة المتعلقة بالسبك النصي في كتبهم التي هي بمثابة تأصيل لما جاء في كتب المفسرين واللغويين القدامى والمتأخرين؛ فيتضح بذلك قِدَم التحليل النصي عند علماء العربية وأصالتهم في هذا المضمار، مع بيان أنَّ الفارق بين عملهم وعمل المحدثين يكمن في التبويب والمصطلح. والفضل للمحدثين في هذا الباب هو إحياؤهم للتراث اللغوي العربي عند محاولتهم لجلاء معنى المصطلح الغربي الوافد باسقاطه على النَّص العربي، لاسيما عند تطبيقه على النص القرآني الكريم.

(السبك النصي) عند علماء العربية:

تجدر الإشارة إلى أنَّ النحاة العرب قد بحثوا في الروابط اللفظية الممتدَّة على سطح الجملة لا على امتداد النص؛ لاسيما في الروابط التي تربط الجملة الخبرية بالمبتدأ التابعة له، فقد جمع المرادي (ت٧٤٩ه)، وسائل الربط الأربعة للجملة الخبرية، قائلًا: ((فشمل أربعة أشياء: الضمير، نحو: زيد أبوه قائم، وقد يحذف إن أمن اللبس نحو: السمن منوان بدرهم. واسم الإشارة، نحو قوله تعالى﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وتكرار لفظ المبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]. والعموم، نحو: فأما القتال لا قتال لديكم. وهذه الروابط المتفق عليها)).[١٣] فوسائل الربط الجملي المتفق عليها عند النحاة القدامى، هي: (الضمير، واسم الإشارة، وتكرار المبتدأ، والعموم الذي في المبتدأ)، بحسب ما ذكر المرادي.

وتعد نظرية (النَّظْم) هي الأخرى دائرة في فلك الجملة العربية لا النص؛ إلَّا أنَّها مع ذلك تشير إلى مواضع الفصل والوصل بين الجمل المتعددة المؤلِّفة لنصٍّ واحدٍ؛ قال الجرجاني (ت٤٧١ه): ((ويَنْظُرُ [النَّظْمُ]: في الجملِ التي تُسْرَدُ، فيعرفَ موْضعَ الفصلِ فيها مِن موضعِ الوَصْل، ثم يعرفَ فيما حقُّه الوصْلُ موضعَ الواو من موْضعِ الفاء، وموضعَ الفاء، من موضعِ ثُمَّ، وموضعَ أو، من موضعِ أم، وموضَعَ لكنْ، من موضعِ، بل)).[١٤] وكلام الجرجاني هذا قد سبقه كلام ابن ولاد التميمي (ت٣٣٢ه)، الذي أجاز الربط بين الجمل المختلفة بالواو من غير قيد العطف على اللفظ أو الموضع، وذلك في قوله: ((وليس سبيل عطف الجمل أن يكون الثاني محمولا على الأول في لفظ ولا موضع بالواجب على كل حال، ألا ترى أن الجملتين

قد تختلفان فتكون إحداهما مبنية من اسمين والأخرى مبنية من اسم وفعل، فتقول: أخطأ زيد والله المستعان، فالأولى من اسم وفعل، والثانية من اسمين)).[١٥] وقد ذكر ابن يعيش (ت٦٤٣ه)، فائدة الربط هذه، في قوله: ((والغرضُ من عطف الجمل رَبْطُ بعضها ببعضٍ، واتصالُها، والإيذانُ بأنّ المتكلم لم يُرِد قَطْعَ الجملة الثانية من الأُولى، والأَخْذَ في جملةٍ أخرى ليست من الأُولى في شيءٍ)).[١٦] وقد فصَّل علماء البلاغة القول في مسألة (الفصل والوصل) بين الجمل التي لامحل لها من الإعراب.[١٧]

يتضح مما سبق أنَّ النحاة والبلاغيين قد أدركوا الروابط اللفظية على سطح الجملة العربية وأولوها عنايتهم، مع بعضِ عنايةٍ بالروابط النصية كما في مسألة الربط بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب.

وأقدم تعريف لـ(السبك) بمفهومه النصي وجدته عند أسامة بن منقذ (ت٥٨٤ه)؛ وهو أحد النقاد المتأخرين، فهو عند تعريفه للسبك، يذكر أهم ملمح من ملامح التماسك النصي بالسبك؛ وهو السبك المعجمي بتكرار اللفظ؛ فقد عبَّر عن ذلك (بتعلق كلمات البيت الشعري مع بعض) في البيت الذي ساقه مثالًا للسبك؛ قائلًا: ((وأما السبك، فهو: أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره كقول زهير:

يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَموا حتى إذا طَعَنُوا ضَارَبَ، حتى إذا ما ضَارَبُوا اعْتَنَقا[١٨])).[١٩]

فنلاحظ تكرار (الطَّعِن) بين جملة: (يطعنهم ما ارتموا) وجملة: (حتى إذا طعنوا)، وتكرار (الضَّرْب) بين جملة: (ضاربَ) وجملة: (حتى إذا ما ضاربوا).

ويتضح السبك النصي على مستوى الجمل المختلفة التابعة للنص الواحد بصورة أكبر عند المفسرين القدامى؛ الذين أولوا عنايتهم للنص القرآني الكريم؛ فيُعَدُّ تحليلهم للنص الكريم تحليلًا لسانيًا عربيًا أصيلًا سابقين فيه ما يُعرف الآن بـ(علم النص) أو (تحليل الخطاب). والفارق الوحيد بين عمل المفسرين الإسلاميين القدامى وعمل الباحثين النصيين المحدثين هو المصطلح والتبويب؛ فالمحدثون أكثر تنظيمًا من حيث التبويب والمصطلح لمسائل التماسك النصي بالروابط اللفظية، في حين أنَّ المفسرين القدامى قد تناثرت مسائل هذا النوع من التماسك النصي في بطون تفاسيرهم، وخير دليل على ذلك ما جمعه الزركشي (ت٧٩٤ه)، والسيوطي (ت٩١١ه)، في كتابيهما المُؤَلَّفَيْنِ في علوم القرآن؛ يقول الدكتور محمود عكاشة

مؤكدًا هذه الحقيقة: ((ومن يطالع كتابي البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، يعلم أنَّ علماء التفسير استوفوا منهج علم اللغة النصِّي الحديث وتفوقوا عليه من قبل أنْ يظهر في الدراسات الحديثة)).[٢٠]

وقد ذكرت مسبقًا أنَّني سأعمل على تأصيل ما عند علماء العربية من اللغويين والمفسرين والأصوليين من تحليل نصِّي يضاهي ما جاء به الباحثون النصيون المحدثون فيما يتعلق بـ(السبك النصي)؛ فضلًا عن بيان سبق علماء العربية للباحثين الأوربيين والعرب المحدثين في ميدان البحث النصي؛ وخاصَّةً في تحليلهم للنصّ القرآني؛ وهو من باب الإنصاف لجهود علماء العربية الذين لم يألوا جهدًا في خدمة النَّص القرآني الكريم.

(السبك النصي) عند المحدثين:

يتحقق السبك النصِّي بـالروابط اللفظية بين الجمل المؤلِّفة للنصِّ الواحد. وهو على نوعين: (معجمي)؛ يتحقق بالمفردات المعجمية، و(نحوي)؛ يتحقق بالأدوات النحوية الرابطة. وبوجود هذه الروابط يتحقق (التماسك النصي) الذي يجعل من مجموعة من الجمل المتتالية (نصًا تواصليًا) لا مجرد (مجموعة عشوائية من الجمل)،[٢١] وقد بيَّنت الدكتورة عزة شبل، هذه الروابط بنوعيها بحسب ما جاء به (هاليداي) و(رقية حسن)، في كتابهما (السبك في اللغة الإنكليزية)؛ قائلةً: ((يقدم هاليداي ورقية حسن ١٩٧٦ في كتابهما Cohesion in English مفهومًا للربط من خلال طرح التساؤل التالي: ما الذي يفرق النص المكتوب أو المحادثة عن مجموعة عشوائية من الجمل؟ أو ما الذي يجعلنا نقرر أنَّ مجموعة من التلفظات أو الجمل تشكل نصًّا؟ قد يقدم لنا السياق بعض المفاتيح التي تساعدنا في التفسير لما نسمعه أونقرؤه، لكن المتكلمين والكتاب يقدمون أيضًا مفاتيح داخلية تبين كيف تتماسك أجزاء النص معًا. هذه المفاتيح الداخلية: هي الوسائل النحوية والمعجمية التي يستخدمها المتكلمون أو الكتاب ويتوقعها السامعون أو القرَّاء؛ لبيان ترابط الجمل مع بعضها البعض عن طريق ربط عنصر في جملة بعنصر آخر في مستوى سطح النص)).[٢٢] فالروابط اللفظية الممتدة على سطح النَّص والتي تساهم في تماسكه، على نوعين: روابط لفظية من النوع المعجمي، وروابط لفظية من النوع النحوي.

ولما كانت الروابط السابكة للنص، على نوعين: (معجمية) و(نحوية)؛ فقد قسَّمت (السبك النصِّي) بالروابط اللفظية على مطلبين:

المطلب الأول: السبك النصي المعجمي.

المطلب الثاني: السبك النصي النحوي.

المطلب الأول: السبك النصي المعجمي:

ويسمى بـ(المعجمي)؛ لأنَّه يتحقق بالوحدات المعجمية (الألفاظ) في الجمل التابعة للنص الواحد، في حالتي: (التكرار)، أو(التوارد-التقابل)؛ لذلك قسَّمت، السبك النصي المعجمي، على قسمين:

١. السبك المعجمي بـ(التكرار) :

سأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بتكرار الوحدات المعجمية (الألفاظ)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (التكرار النصِّي) عند اللغويين العرب، والباحثين النصيين المحدثين. وكما سيأتي:

(التكرار النصي) عند علماء العربية:

لقد تناول علماء العربية أسلوب (التكرار) في النص القرآني؛ وذلك من حيث: (تكرار اللفظ المفرد)، و(تكرار اللفظ المُركَّب).

وأقدم إشارة إلى (التكرار) داخل النص القرآني، نجدها عند الفراء (ت٢٠٧ه)، في قوله:((والكلمة قَدْ تكررها العرب على التغليظ والتخويف)).[٢٣] وذلك عند بيانه لفائدة التكرار في سورة التكاثر، في قوله تعالى:﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

أمَّا أقدم من أفرد بابًا لـ(التكرار) وفوائده في القرآن الكريم، فهو ابن قتيبة (ت٢٧٦ه)، في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، في باب (تكرار الكلام والزيادة فيه)؛ جاء فيه: ((وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزىء عن بعض، كتكراره في:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، وفي سورة الرحمن بقوله:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: ١٣]، فقد أعلمتك أنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم. ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز)).[٢٤]

وقد توسَّع الزركشي في أسلوب التكرار القرآني، مبينًا فائدته؛ قائلًا: ((إنَّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدًا)).[٢٥] ذاكرًا الكثير من أمثلته، مثل قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩، ٢٠]. ومثل قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥]. ومثل قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧].

والتكرار الذي مثَّل له الفرَّاء وابن قتيبة والزركشي قد تحقَّق بتكرار اللفظ المركب لا اللفظ المفرد. وذلك بتكرار جملة (سوف تعلمون) في سورة التكاثر في الآيتين (٣) و(٤)، وتكرار جملة: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في ثلاثين موضعًا من (سورة الرحمن).[٢٦] وتكرار جملة: (قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)، وتكرار جملة: (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)، وتكرار جملة: (لَتَرَوُنَّهَا)، يفيد التأكيد وفقًا لما قاله الفراء وابن قتيبة والزركشي، وقد تحقق التكرار فيها باللفظ المركب.

أمَّا تكرار اللفظ المفرد الذي يفيد التأكيد، فقد وجدته عند المهدوي؛ وذلك عند بيانه لفائدة تكرار (القبلة) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، قال المهدوي: ((وتكرير أمر القبلة وغيره من القصص تأكيد))[٢٧].

وكذلك فإنَّ التكرار قد يفيد معاني أخرى غير التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝١٤ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١١ – ١٥] . فقد وضَّح الزركشي فائدة التكرار هنا، قائلًا: ((فأعاد قوله: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) بعد قوله: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) ، لا لتقرير الأوَّل؛ بل لغرض آخر: لأنَّ معنى الأوَّل الأمر بالإخبار أنَّه مأمور بالعبادة والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني أنَّه يخصّ الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص؛ ولذلك قدَّم المفعول على فعل العبادة في الثاني، واخَّر في الأوَّل؛ لأنَّ الكلام أولًا في الفعل، وثانيا فيمن فُعِلَ لأجله الفعل))[٢٨].

يتضح مما سبق أنَّ (التكرار) عند علماء العربية على قسمين؛ تكرار اللفظ المفرد، وتكرار اللفظ المركب، وقد بينتُهما بالأمثلة القرآنية الوافية.

(التكرار النصي) عند الباحثين المحدثين:

إذا كان علماء العربية قد توسعوا في باب (التكرار النصِّي) فجعلوه في المفردات والمركبات؛ فإنَّ أكثر الباحثين المحدثين قد ضيَّقوه فجعلوه في المفردات المعجمية فقط؛ لأنَّهَ يتحقق عندهم بتكرار (الألفاظ المفردة)، أو بتكرار (مرادفاتِها) في الجمل التابعة للنص الواحد. فيوجد هذا التكرار تماسكًا نصيًا، يربط بين أجزاء النص، فيوحي هذا الترابط؛ بالاستمرارية والتواصل وعدم الانقطاع؛ مما يخدم المعنى الذي سيق لأجله النص.

ومفهوم السبك النصي المعجمي بـ(التكرار)، يتضح عند (هاليداي) و(رقية حسن)، فهما يعرفانه، بأنَّه: ((إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرًا مطلقًا أواسما عامًّا))[٢٩]. قال الدكتور محمد خطابي موضحًا هذا التعريف: ((وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطًا بين أجزاء النص بشكل واضح، وقد مثل هاليداي ورقية حسن بنموذج للتكرار المعجمي: (اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات للطبخ ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار)، ففي هذا المثال تم التماسك عن طريق تكرار كلمة، التفاحات)).[٣٠]

وقد أشار الدكتور أحمد عفيفي، إلى الغرض من (التكرار) داخل النص الواحد، فقال: ((ويطلق البعض على هذه الوسيلة (الإحالة التكرارية)،[٣١] وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد)).[٣٢]

وعند المقارنة بين أنواع التكرار الذي يفيد التماسك النصي عند علماء العربية والباحثين المحدثين يتضح أنَّ علماء العربية كانوا أكثر اتساعًا من حيث تناولهم لموضوع التكرار النصي؛ مما يعكس عمق التحليل النصي عندهم، وما سأذكره من الأمثلة على التكرار النصي، خير دليل على ذلك.

أمثلة تطبيقية على (التكرار النصِّي):

بناءً على ما تقدَّم يمكن تقسيم (التكرار النصِّي) على نوعين، الأول: (تكرار اللفظ المفرد)، والثاني: (تكرار اللفظ المركب)، وذلك عند تكرارهما في جملتين أو أكثر من جمل النص الواحد. وكما يأتي:

أولًا: (تكرار اللفظ المفرد)، تحقيقًا للتماسك النصي:

ويتمثَّل بتكرار اللفظ المفرد أو مرادفه في الجمل التابعة للنص الواحد.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فمفردة (الشهر) قد تكررت في جملتين مختلفتين داخل هذه الآية الكريمة، فالجملة الأولى في قوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ...)، والجملة الثانية في قوله: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ..). والتكرار لهذه اللفظة يؤدي إلى نوع من التماسك بين هاتين الجملتين المنضويتين داخل هذه الآية الواحدة؛ فضلًا عن أنَّ تكرار لفظ (الشهر) يفيد التعظيم له؛ ومثله تكرار، لفظ (الحاقة)، في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]. وتكرار لفظ الشهر على التعظيم، قياسًا على تكرار (الحاقة) في سورة الحاقة، قد ذكره، الفراء (ت٢٠٧ه)،[٣٣] والزجاج (ت٣١١ه)،[٣٤] والنحاس (ت٣٣٨ه).[٣٥]

ومن الأمثلة الأخرى، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. فقوله: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ)، يحتمل أنْ يكون مما حُذِف جوابه استغناءً عنه لعلم المخاطب به؛ فجيء بـ(لَّما) الثانية، في قوله: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا)؛ عندما طال الكلام، ويحتمل أنْ تكون (لَّما) الثانية؛ جوابًا لـ(لَّما) الأولى؛ قال الطبري: ((قد اختلف أهل العربية في جوابه. فقال بعضهم: هو مما ترك جوابه، استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه، وقد تفعل العرب ذلك إذا طال الكلام، فتأتي بأشياء لها أجوبة، فتحذف أجوبتها، لاستغناء سامعيها - بمعرفتهم بمعناها - عن ذكر الأجوبة...وقال آخرون: جواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، في الفاء التي في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[البقرة: ٨٩]))،[٣٦] وأهل العربية الذين في نص الطبري السابق، هم الفراء،[٣٧] والأخفش،[٣٨] والزجاج،[٣٩] وسواء أكانت (لَّما) الثانية جوابًا للأولى أو كررت لطول الكلام؛ فإنَّها في الحالتين؛ تربط بين جملتين من جمل هذه الآية الكريمة؛ فإذا كانت جوابًا لـ(لَّما) الأولى

فهي بمنزلة الفاء الشرطية الداخلة على جواب الشرط؛ فتربط بين جملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وإذا لم تكن (لَمَّا) الثانية جوابًا؛ فتكرارها يفيد الربط بين الجملة الداخلة عليها، وهي: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)؛ أي: كفرهم بالقرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ المذكور عندهم في كتابهم، وبين الجملة السابقة لها، وهي: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ)؛ أي: جاءهم القرآن الذي قد صدَّق ما يعلمونه من صفته ﷺ في كتابهم.

ثانيًا: (تكرار اللفظ المركب) تحقيقا للتماسك النصِّي:

ويتمثَّل بتكرار اللفظ المركب سواء أكان هذا المركب (جملةً) أم (شبه جملة)، وذلك بتكراره في الجمل التابعة للنص الواحد. وسأقسم هذا النوع من التكرار النصي على نوعين:

(تكرار الجملة) تحقيقا للتماسك النصي:

التماسك النصي هنا يتحقق بتكرار الجملة في موضعين مختلفتين من النصِّ.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١]، فتكرار الجملة الاسمية (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) في هاتين الآيتين، قد يفيد التأكيد، وقد يفيد التنوع في كيفية سماعهم للكذب. وسواء أفاد التأكيد أم لم يفده، فالتكرار هنا يؤدي إلى التماسك النصي بين آيات السورة الواحدة. قال المهدوي: ((يجوز أنْ يكون ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ الثاني تأكيدًا للأوَّل، ويجوز أنْ يكون معنى الأوَّل: يسمعون من أحبارهم تحريفهم، ومعنى الثاني: يسمعون ما تقول؛ ليكذبوا عليك)).[٤٠]

ومن الأمثلة الأخرى، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ

﴿٤٩﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩]. فتكرار الجملة الفعلية (احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) في هاتين الآيتين؛ يفيد (التأكيد بالحكم بما أنزل الله)؛ لأنَّ النبي ﷺ؛ قبل نزول، قوله: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، في الآية (٤٩) كان مخيرًا بين أنْ يحكم بين اليهود والنصارى بما عنده أوبما عندهم في كتبهم.(٤١) فتكرار جملة: (احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، في هاتين الآيتين وإنْ كان يفيد التأكيد إلَّا أنَّه في الوقت نفسه يوجد ترابطًا بين هاتين الآيتين. وهو اختيار الجصاص (ت٣٧٠ه)، في مسألة الحكم بين أهل الكتاب بما جاء في القرآن، فقد انقسم الفقهاء في ذلك قسمين، قسم يقول بالتخيير، وقسم يقول بوجوب الحكم بينهم بما أنزل الله ويستدلون بتكرار، قوله: (احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، في هاتين الآيتين من سورة المائدة، وقد اختار الجصاص الوجوب.(٤٢)

(تكرار شبه الجملة) تحقيقا للتماسك النصي :

ويتحقق التماسك النصي هنا بتكرار شبه الجملة في موضعين مختلفتين من النصِّ.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥، ١٥٦]. فتكرار شبه الجملة (بِكُفْرِهِمْ) في هاتين الآيتين؛ يفيد التماسك النصي بين آيات هذه السورة فضلًا عن دوره في بيان رسوخ الكفار من أهل الكتاب في الكفر، فتكرار، (بِكُفْرِهِمْ)؛ في هاتين الآيتين يفيد التأكيد. قال المهدوي: ((و كرَّر قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾؛ ليخبر أنَّهم كفروا كفرًا بعد كفر)).(٤٣) وقد ذكر الزمخشري (ت٥٣٨ه)، أنَّ تكرار (كفرهم)، في ثلاثة مواضع من هاتين الآيتين، وهي: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)، و(وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)، و(وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)، يفيد في الموضع الأول: كفرهم بموسى عليه السلام، وفي الموضع الثاني: كفرهم بمحمد ﷺ، وفي الموضع الثالث: كفرهم بعيسى (عليه السلام)؛ فالكفر قد تكرر منهم في هذه المواضع كما تكرر كفرهم في الحقيقة بموسى(عليه السلام)، وعيسى(عليه السلام)، ومحمد ﷺ.(٤٤)

ومن أمثلته الأخرى، قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٥٢]. وقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾

[الأنفال: ٥٤]. فتكرار شبه الجملة (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) في هاتين الآيتين؛ يفيد التماسك النصي لآيات هذه السورة؛ إلَّا أنَّه لا يفيد التأكيد فلكل واحدة منهما معنى يختلف عن الآخر. فمعنى شبه الجملة (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) في الآية (٥٢)، هو: (كدأبهم بالكفر بآيات الله، أي: كعادتهم بتكذيبهم رسل الله وحججه)، ومعنى شبه الجملة (كدأب آل فرعون) في الآية (٥٤)، هو: (كدأبهم بتكذيب آيات الله، أي: كعادتهم في تغييرها بمحاربة الرسل). ومع اختلاف دلالة شبه الجملة: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) في هاتين الآيتين؛ إلَّا أنَّها توجد تماسكًا بين هاتين الآيتين. وهو توجيه الفراء،[٤٥] والطبري،[٤٦] والزجاج.[٤٧] وكذلك ذكره الكرماني (ت نحو٥٠٥ه).[٤٨]

٢. السبك المعجمي بـ(التوارد – المقابلة) :

سأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بالوحدات المعجمية (الألفاظ)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (التوارد – المقابلة) عند اللغويين العرب، والباحثين النصيين المحدثين. وكما يأتي:

(التوارد النصي) عند علماء العربية:

علاقة (التوارد) كعلاقة رابطة بين الألفاظ سواءً على مستوى الجملة أم النص؛ قد بحثها البلاغيون العرب في باب (المطابقة)، ومفهوم (المطابقة) عندهم لايخرج عن أحد أمرين، الأول: (المساواة)، وذلك عند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧ه)، والرماني (ت٣٨٤ه)،[٤٩] مخالفين بذلك جمهور البلاغيين الذين ذهبوا إلى أنَّ (المطابقة) تعني: (الجمع بين الشيء وضده)، وهو المفهوم الثاني للمطابقة وهو المعمول به حتى الآن.[٥٠] وقد علَّل ابن أبي الحديد (ت٦٥٦ه)، سبب هذه التسمية؛ بأنَّ (الطَّبَق) يعني: (المشقّة)؛[٥١] إذ لا تخفى المشقة في بيان العلاقة بين اللفظ وضده؛ لذلك سميت (مطابقةً)؛ قال: ((الطبق، في اللغة: المشقة؛ قال الله سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: [الانشقاق: ١٩]؛ أي: مشقةً بعد مشقةٍ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقًّا بل متعذرًا، ومن عادتهم أن تعطي الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعًا سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقة)).[٥٢]

وقد ذهب ابن الأثير الكاتب (ت٦٣٧ه)، إلى أنَّ (المطابقة) عند البلاغيين الأليق بها أنْ تسمى (مقابلةً)؛ لأنَّه قد اتَّسع في مفهوم (المطابقة) مقسِّمًا إيَّاها على ثلاثة أنواع، هي: (مقابلة الشيء بضده) أو (مقابلة الشيء بغيره) أو (مقابلة الشيء بمثله)؛ قال: ((الأليق من حيث المعنى

أن يسمى هذا النوع المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال في ذلك من ثلاثة أقسام: أما أن يقابل الشيء بـ(ضده)، أو بـ(غيره)، أو بـ(مثله)، وليس لنا قسم رابع)).[٥٣] وتابعه في ذلك الزركشي، معرفًا (المقابلة) بشكل أوضح؛ قائلًا: ((وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها)).[٥٤] مقسمًا إيَّاها على ثلاثة أنواع أيضًا؛ ولكنَّها أكثر وضوحًا من تقسيم ابن الأثير الكاتب، وهي: (نظيريّ، ونقيضيّ، وخلافيّ)، ومثال النظيريّ، قوله تعالى:﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: [البقرة: ٢٥٥] ، فالمقابلة هنا، بين: (الرقاد واليقظة)، فـ(السنة والنوم)؛ من باب الرقاد المقابَل باليقظة، ومثال النقيضيّ، قوله تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: [الكهف: ١٨] ، فالمقابلة هنا بين نقيضين،[٥٥] هما (اليقظة والرقود)، ومثال الخلافي، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فالمقابلة هنا بين (الشر) و(الرشد، الذي هو بمعنى: الخير) وهما خلافيان، فالرشد ضد الغي، والشر ضد الخير،[٥٦] ومثال التقابل الخلافي، قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فالمقابلة هنا بين (صدَّق) و(كذَّب) وبين (صلَّى) بمعنى: (أقبل) و(تولَّى).[٥٧]

فالمقابلة بين الألفاظ (المتناظرة أو المتناقضة أو المتخالفة)، يشكل تماسكًا نصيًا؛ إذا تحققت المقابلة في جملتين مختلفتين، متتاليتين أو متباعدتين. أمَّا المقابلة داخل الجملة الواحدة، فتحقق تماسكًا معنويًا بين أجزائها. وهي في كلتا الحالتين من بديع النظم القرآني.

(التوارد النصي) عند الباحثين المحدثين:

فالمقابلة بين الألفاظ ضمن العلاقات الثلاثة السابقة، وهي: (الخلافية والنقيضية والنظيرية)، على مستوى النصّ، لا تبتعد كثيرًا عن مفهوم التوارد النصي؛ من حيث كونه علاقة رابطة بين الألفاظ على مستوى النَّص؛ فقد عرَّف الدكتور تمام حسَّان (التوارد المعجمي) كعلاقة تربط بين الألفاظ على مستوى النص؛ قائلًا: ((وهناك نوع آخر منها يقوم بين الكلمات في المعجم، فقد يكون بين الكلمتين علاقة ترادف، أو علاقة تضاد، أوالتناقض، أوالعكس، أو الكلية والبعضية، أو مجرد المغايرة إلى غير ذلك)).[٥٨] فالعلاقات التي ذكرها الدكتور تمام حسان تتداخل مع العلاقات الثلاثة التي يمثِّلُها مفهوم (المقابلة) عند البلاغيين العرب.

وأعود إلى مصطلح (التوارد) كعلاقة ربط نصِّي، وأبيِّن أنَّه قد أُطْلِقت عليه تسمية أخرى، هي: (التضام)؛ وهو مصطلح استعمله الدكتور محمد خطابي، مُعرِّفًا إياه؛ بأنَّه: ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك))[٥٩]. فالتضام عنده أيضًا نوع من العلاقات الرابطة بين الألفاظ عند ورودها؛ أي: مجيئها في النص.

وفي الحقيقة إنَّ استعمال الدكتور محمد خطابي لمصطلح (التضام) هنا يسبب خلطًا في المصطلحات؛ لأنَّ (التضام) في علم النص يُراد به (التماسك النصي عامَّةً)، إذ قال ديبوجراند ودريسلر، ما نصُّه: ((التضام (Cohesion): وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة))؛[٦٠] فآثرت لذلك استعمال مصطلح (التوارد)؛ الذي استعمله الدكتور تمام حسَّان، وهو مأخوذ من (الوُرود)؛ أي: (الحضور)،[٦١] وهو في الوقت نفسه على صيغة (تفاعَل) التي تفيد المشاركة من شيئين؛ فكأنَّ الألفاظ عند حضورها في النص تتفاعل فيما بينها وفقًا لعلاقات تتحكم بها؛ لذلك تجد الباحثين النصيين عند تعريفهم (للتوارد النصِّي)، أو(التضام)، يُجمِعون على وجود علاقات تربط بين هذه الألفاظ على سطح النص.

ورفعًا للُّبس المتوقع الحصول عند استعمال مصطلح (التضام) للدلالة على هذه العلاقات الرابطة بين الألفاظ عند ورودها في النَّص؛ فاستعمال مصطلح (التوارد) هو الأنسب هنا. فضلًا عن أنَّه يجمع بين (التماسك النصِّي) وبين (العلاقات المعجمية التي بين الكلمات).

وللأسباب السابقة الذكر يمكنني تعريف (**التوارد النصيِّ**)، بأنَّه: (نوع من العلاقات المعجمية بين الألفاظ على مستوى النص، مما يحقق تماسكًا نصيًا بين الجمل المختلفة للنص الواحد). وهذه العلاقات ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر عند تعريفه لـ(الكلمة) مبيِّنًا العلاقات التي تربط الكلمات فيما بينها في النظام اللغوي الواحد، قائلًا: ((سبق أنْ قسمنا تعريف (ليونز) لمعنى (الكلمة)؛ أنَّه: محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي. وهناك تعريف آخر لا يخرج عن نفس الإطار، وهو: مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية. ولذا فمن الضروري عند أصحاب هذه النظرية بيان أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي. ولا تخرج هذه العلاقات في أي حقل معجمي عمَّا يأتي: الترادف، الاشتمال والتضمن، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر))[٦٢].

فالعلاقات بين المفردات التي ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر لا تخرج عن: (الترادف، الاشتمال والتضمن، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر)، وإذا أمعنا النَّظر وجدنا أنَّها لا تبتعد كثيرًا عن العلاقات الثلاثة بين المفردات ضمن مفهوم المقابلة، فهي، إمَّا أنْ تكون: (خلافية)، أو(نقيضية)، أو(نظيرية). مما يثبت بأنَّ اللغويين العرب كانوا سبَّاقين في دراسة العلاقات بين الألفاظ عند دراستهم للنصّ القرآني.

أمثلة تطبيقية على (التوارد النصِّي):

بعد ما تقدم ذكره، سأتناول موضوع (التوراد) النصي عند علماء العربية، الذي يقابله من حيث المفهوم مصطلح (المقابلة) عند البلاغيين العرب، وفقًا للاقسام الثلاثة التي ذكرها ابن الأثير الكاتب، والزركشي، وهي: (التقابل النظيري)، و(التقابل النقيضي)، و(التقابل الخلافي)، بين الألفاظ المفردة في جملتين من جمل النص الواحد، وكما يأتي:

أولًا: التقابل الخلافي :

ويتحقق السبك النصي المعجمي وفقًا لهذا النوع من العلاقات الرابطة بين الألفاظ بـ(توارد اللفظين الخِلَافَيْنِ).

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨]. فالمقابلة هنا بين لفظين خِلافَين، هما: (الطَّيِّب) و(الخَبيث)؛ ومخالفة أحدهما للآخر هنا من حيث دلالة (البلد الطيب) على: (المؤمن) أو على: (سريع الفهم)، ومن حيث دلالة (الذي خَبُثَ) على: (الكافر)، أو على: (البطيء الفهم). ومخالفة (الطيب) للـ(خبيث) من حيث المعنى؛ قد نصَّ عليها الجوهري؛ في قوله: ((الطَّيِّبُ خلاف الخَبيث)).[٦٣] وقد وجه الطبري،[٦٤] والنحاس،[٦٥] معنى هذه الآية الكريمة.

ثانيًا: التقابل النقيضي :

ويتحقق السبك النصي المعجمي وفقًا لهذا النوع من العلاقات الرابطة بين الألفاظ بـ(توارد اللفظين الضدَّين).

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [التوبة: ١١٢]. فالمقابلة هنا بين لفظين ضدَّين، هما (المعروف) و(المنكر)، والضدِّيَّة بينهما من حيث المعنى قد نصَّ عليها الجوهري، بقوله:

((المَعْرُوف: ضدُّ المُنْكَر)).[٦٦] فعلاقة الضدية بين (المعروف)، و(المنكر)، هي التي تجمع بينهما فلا يرد لفظ (المعروف) إلَّا وتبعه لفظ (المنكر)؛ فهما يتواردان في الكلام الواحد؛ بحكم علاقة الضديَّة التي تجمع بينهما؛ وقد نصَّ المهدوي على مصاحبة أحدهما للآخر في الكلام الواحد؛ بقوله: ((ودخلت الواو في ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ خاصَّةً؛ لمصاحبة النهي عن المنكَرِ، الأمرَ بالمعروف، فلا يكاد يُذكَر واحدٌ منهما مفرَدًا)).[٦٧] وقد عدَّ الزركشي توراد صفتي (المعروف)، و(المنكر) في هذه الآية الكريمة، من تعاطف الصفات في باب التعديد؛ الذي عني فيه بتوارد الألفاظ المتضادَّة في السياق الواحد.[٦٨]

ثالثًا: التقابل النظيري :

ويتحقق السبك النصي المعجمي وفقًا لهذا النوع من العلاقات الرابطة بين الألفاظ بـ(توارد اللفظين النظيرين).

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥]. فالمقابلة هنا بين لفظين نظيرين من حيث الإفراد، هما (الإنسان) و(الجان)؛ فكلا اللفظين يدلان على الواحد من جنسيهما. فالتناظر بينهما من حيث العدد لا من حيث المعنى؛ فكلاهما يدل على (المفرد). والسبب في توارد هذين اللفظين المفردين (الإنسان)، و(الجان) في هاتين الآيتين؛ هو ما سبقهما من الخطاب الموجَّه لاثنين؛ في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣]. قال المهدوي: ((و(الجان): واحد؛ ولذلك قوبل به (الإنسان) في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾)).[٦٩] فالمقابلة في الآيتين (١٤)، (١٥)، بين المفردين (الإنسان)، و(الجان)؛ لمناسبة خطاب الاثنين في الآية (١٣) من السورة نفسها. وما ذكره المهدوي من المقابلة بين (الإنسان) و(الجان) من حيث الإفراد، لم يذكره أحد قبله، وإنَّما الذي عُني به المفسرون واللغويون قبله، مثل الفراء،[٧٠] وأبي عبيدة،[٧١] وابن قتيبة،[٧٢] والطبري،[٧٣] والنحاس،[٧٤] هو موضوع الانتقال من خطاب الاثنين، في قوله:﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

[الرحمن:١٣]، إلى خطاب المفرد (الإنسان)، و(الجان)، في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].

المطلب الثاني: السبك النصي النحوي:

ويسمى بـ(النحوي)؛ لأنَّه يتحقق بالأدوات النحوية: (الاسماء) و(الحروف)، التي تفيد الربط بين جملتين مختلفتين في النص الواحد. ويتمثَّل (السبك النحوي) الذي يحقق التماسك النصِّي بأربع حالات؛ هي: (الإحالة)، و(الحذف)، و(الاستبدال)، و(الربط)؛ لذلك قسَّمت (السبك النصي النحوي) عند علماء العربية، على أربعة أقسام، بيانها كما يأتي:

١. السبك النحوي بـ(الإحالة):

وتتمثل (الإحالة) بعودة عنصر في جملة ما من جمل النص، على عنصر سابق أو لاحق في جملة أخرى من النص نفسه، بأداة تفيد الإحالة، وقد تكون هذه الأداة (ضميرًا)، أو(اسما موصولًا)، أو(اسم إشارة)؛ مما يسهم في (التماسك النصي)، أمَّا إذا تحققت الإحالة داخل الجملة الواحدة فلا تفيد حينئذٍ التماسك النصي.

وسأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بالأدوات النحوية التي يتحقق بها مفهوم (الإحالة)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (الإحالة النصية) عند اللغويين العرب، والباحثين النصيين المحدثين. وكما يأتي:

(الإحالة النصية) عند علماء العربية:

الإحالة على مستوى النص وُجِدَتْ عند علماء العربية؛ لكن حضورها لم يكن بارزًا وجليًا؛ لأنَّهم أولوا عنايتهم للجملة العربية، وبحثوا موضوع (الإحالة)، لا سيما (الإحالة بالضمير) ضمن حدود الجملة، تحت عنوان (عود الضمير)، فقد جمع ابن الحاجب (ت٦٤٦ه)، ضمائر الربط التي يتحقق فيها مفهوم الإحالة، في ثلاثة أنواع، هي: ضمير صلة الموصول؛ الذي يحيل جملة الصلة على الموصول، وضمير صفة الموصوف؛ الذي يحيل الصفة على الموصوف، وضمير خبر المبتدأ؛ الذي يحيل الخبر على المبتدأ، وذلك في قوله: ((الضمائر الواقعة للربط، وهو أن تربط الثاني بالأول، على ثلاثة أضرب: في باب الصلة والصفة والمبتدأ)).[٧٥]

وكذلك ذكر ابن هشام (ت٧٦١ه)، مواضع أخرى للضمير الرابط ضمن حدود الجملة أيضًا، وهي: (الضمير في جملة الحال، والضمير في جملة بدل البعض وجملة بدل الاشتمال، والضمير ملفوظًا أو مقدرًا في معمول الصفة المشبهة، والضمير في لفظ التوكيد الأوَّل).[٧٦]

وكذلك الزركشي الذي أوجز ما ذكره ابن الأنباري (ت٣٢٨ه)، عن عود الضمائر في القرآن الكريم، لم يخرج عن حدود الجملة العربية؛ فقال: ((قد صنَّف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين)).[٧٧] ومجمل ما نقله عن ابن الأنباري يجعل عود الضمير على نوعين، الأول: (ما يعود على سابق أو لاحق)، والثاني: (ما يعود على غير مذكور-لا يمكن تقديره)).[٧٨]

أمَّا ملامح الإحالة النصِّية عند علماء العربية فتبرز بشكل واضح في موضوع (عود الضمير على غير مذكور)؛ فهو يقابل مفهوم (الإحالة الخارجية بالضمير)؛ فالضمير في هذه الحالة لا يعود على سابق أو لاحق أو مقدَّرٍ، وإنَّما يعود على عنصر غير مذكور من خارج النص. وقد أشار ابن الحاجب إلى هذا النوع من الإحالة الخارجية ، في أماليه، تحت عنوان: (عود الضمير إلى محذوف)، ومثَّل له بقول الشاعر:

فلا مُزنةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[٧٩]

فقد علَّل ابن الحاجب لعودة الضمير في: (وَدْقِها)، و(إبقالِها)، على محذوف غير مذكور في النص؛ بفساد المعنى في حال عودة الضمير فيهما على مذكور؛ يقول: ((ولا يستقيم أن يعود إلى المذكورتين؛ لأنَّ المعنى: فلا مزنة ودقت ودقها ودقا مثل ودقها. فلو رجع الضمير إليها لصار مخبراً أنه ليس مزنة تدق ودقا مثل ودق نفسها، وهو فاسد؛ لأنها تَدِقُ وِدْقَ نفسها، فلا يستقيم أن يقصد إلى أن ينفي عنه فعلًا يماثله. وإن لم تقدر محذوفاً كان أفسد، إذ يصير المعنى: أنه ليس مزنة تدق ودق نفسها، وهو فاسد؛ لأن الأمر على خلافه؛ إذ لا تدق مزنة ودق نفسها، فوجب أن يكون التقدير: فلا مزنة ودقت ودقا مثل ودق هذه المزنة المحذوفة)).[٨٠]

وملمح آخر من ملامح الإحالة النصِّية عند علماء العربية، يتَّضح في (أدوات الإحالة) الأخرى التي ذكرها النحاة العرب من غير الإحالة بالضمير، والتي تتمثل بـ(اسم الإشارة)، و (أل التعريف)، و(الاسم الظاهر)، والتي جمعها الزركشي، ومثَّل لها بالأمثلة القرآنية التي يتضح فيها السبك النصِّي بالإحالة إذا ما أخذنا بالحسبان تحقق الإحالة فيها على مستوى الجمل

المتعددة المؤلفة للآية القرآنية، فالإحالة في هذه الأمثلة التي ذكرها الزركشي لا تتحقق على مستوى الجملة، بل تتحقق على مستوى النَّص؛ قال الزركشي: ((قد يسد مسدّ الضمير أمور: منها الإشارة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ومنها الألف واللام، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، أي: (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ مَأْوَاهُم) و (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاهُم)، وقوله: ﴿نُجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، أي: رسلك...ومنها الاسم الظاهر، بأنْ يكون المقام يقتضي الإضمار فيعدل عنه إلى الظاهر))[٨١]. كـ((قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، لو قال: (تؤتيه) لأوهم أنَّه الأول...وقوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۖ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح: ٦]، كرر السوء؛ لأنَّه لو قال: عليهم دائرته لالتبس بأنْ يكون الضمير عائدًا إلى الله تعالى)).[٨٢]

يتضح مما سبق أنَّ علماء العربية قد أولوا عنايتهم للإحالة ضمن حدود الجملة العربية، لاسيما (الإحالة بالضمير)؛ إلَّا أنَّهم في الوقت نفسه قد تناولوا (الإحالة النصية)، ولكن ضمن حدود ضيقة، وذلك عند دراستهم للنَّص القرآني، وخير مثال على ذلك ما ذكره الزركشي من الإحالة بـ(اسم الإشارة) و(أل التعريف) و(الاسم الظاهر)، في الآيات المتقدمة.

(الإحالة النصية) عند الباحثين المحدثين:

ترتبط (الإحالة النصية) بمفهومها الحديث بعالمين اثنين هما (بوجراند) و(درسلر)؛ اللذين جعلاها على نوعين:

الأوَّل: (الإحالة داخل النص)، وهي على نوعين أيضًا: على (سابق)؛ أي: قبلية، وعلى (لاحق)؛ أي: بعدية، قال (بيوجراند): ((الإحالة لمذكور سابق -أي: الإحالة على عنصر سابق في النص-، والإحالة لمتأخر - أي: الإحالة على عنصر لاحق في النصِّ-)).[٨٣]

والثاني: (الإحالة لغير مذكور)، ويراد بها: (الإحالة خارج النص) ومفهومها، أنْ: ((تعود الكنائيات في الإحالة لغير مذكور إلى أمور تستنبط من الموقف لا من العبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أوالخطاب. وربَّما أشارت هذه الطريقة إلى اعتراض على الفصل بين

اللغة ومواقف استعمالها. وللإحالة إلى غير مذكور على وجه الخصوص كفاءة من حيث تجاوزها للخطوة البينية التي تتمثل في تسمية المفهوم. وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق والإحالة لمتأخر. وإذا كان معنى مفهوم ما هو موقعه في عالم النص فإنَّ معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور هو مكانه في عالم النص مع التركيز على عالم الموقف الاتصالي)).[٨٤]

وهذا التقسيم للـ(إحالة النصية) على: (إحالة داخلية)، و(إحالة خارجية)، قد تناوله أيضًا باحثان آخران، هما (هاليداي) و(رقية حسن)؛ وقد لخَّص الدكتور محمد خطابي مفهوم (الإحالة النصية) عندهما، قائلًا: ((يستعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالًا خاصًّا، وهو أنَّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصيَّة الإحالة. وهي حسب الباحثين: الضمائر واسماء الإشارة وأدوات المقارنة. وتعد الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلَّا أنَّها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين: الإحالة المقامية والإحالة النصيَّة. وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، وإحالة بعدية)).[٨٥] وقد ميَّز (هاليداي) و(رقية حسن) بين (الإحالة النصية) الداخلية و(الإحالة المقامية) الخارجية، قال الدكتور محمد خطابي موضحًا ذلك: ((يذهب هاليداي ورقية حسن، بهذا الخصوص، إلى أنَّ الإحالة المقامية تسهم في خلق النص؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلَّا انّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصيَّة بدور فعَّال في اتساق النصّ؛ ولذا يتخذها المؤلفان معيارًا للإحالة، ومن ثمَّ يوليانها أهمية بالغة في بحثهما)).[٨٦]

يتضح مما سبق أنَّ (الإحالة النصية) عند الباحثين النصيين المحدثين، على نوعين، الأوَّل: (داخلية نصيَّة)، وقوامها: الألفاظ الكنائية كما وصفها بوجراند، وهي عند هاليداي وحسن، تتمثل بـ: الضمائر واسماء الإشارة وأدوات المقارنة. والنوع الثاني: (خارجية مقامية)، ودورها عند بيوجراند: الربط بين اللغة ومواقف استعمالها، وكذلك الأمر عند هاليداي وحسن؛ إلَّا أنَّهما رءيا أنَّها لا تساهم في اتساق النصّ بشكل مباشر.

وإذا ما قورِنَ بين (الإحالة) عند علماء العربية، و(الإحالة) عند الباحثين المحدثين؛ نجد أنَّ العرب القدامى والمحدثين قد تشابهت أدوات الإحالة عندهم فهي لاتخرج عن أنْ تكون: ضميرًا، أو اسما موصولًا، أو اسما للإشارة. إلَّا أنَّ أهل العربية قد درسوا الإحالة النصية ضمن حدود النَّص القرآني، ولكن بشكل عفوي غير مباشر، في حين نجد المحدثين قد درسوها ضمن إطار النص؛ محاولةً منهم للخروج من ميدان الجملة إلى ميدان أوسع هو النَّص.

وقد وجدتُ من الأمثلة على (الإحالة النصية) عند علماء العربية ما يدخلها في صلب (علم النَّص)؛ مما يجعل هذه النظرية حديثةً من حيث الطرح، قديمةً من حيث التطبيق. ولعل الذي يسوِّغ وجود هذا البعد النصِّي عند علماء العربية من المفسرين واللغويين أنَّهم قد نظروا إلى النصَّ القرآني نظرة أوسع من نظرة النحاة الذين شغلوا بضبط الكلام وتقعيد القواعد التي تعصم اللسان من اللحن، فاللغويون الذين تصدَّوا لتفسير القرآن الكريم قد نظروا في النَّص القرآني على سعته وكثافته، على أنَّه (نَصٌّ واحدٌ)؛ وهو ما صرَّح به الزجَّاج، بقوله: ((القرآن كله كالسورة الواحدة)).[٨٧] فهذه السِّعَة من حيث النَّظر في القرآن الكريم، والتي تجعله كالكلام الواحد هي التي ساعدت على إيجاد دراسات نصِّية حقيقة ولكنْ غير مُصرَّح بها، فهي ضمن حدود مصطلحهم ومنطقهم في ذلك الوقت.

الأمثلة التطبيقية على (الإحالة النصية):

قد بيَّنت قبل قليل أنَ (الإحالة) ضمن حدود النَّص قد وُجِدَت عند علماء العربية؛ ولكن على نحوٍ ضيِّق، وغير مُصَرَّح به؛ لأنَّها كانت ضمن حدود مصطلحهم ومنطقهم في ذلك الوقت. وما وجدته من أمثلة عند علماء العربية فيما يخص عودة الضمير، أو عودة اسم الإشارة، أو عودة الاسم الموصول، على سابقٍ أو لاحقٍ أومحذوفٍ، يدخل في صلب (الإحالة النصية) بمفهومها المحدث. إذ إنَّ الإحالة في الأمثلة التي سأذكرها تتحقق على مستوى جمل متعددة ضمن الآيات القرآنية العائدة لسورة واحدة؛ مما يخلق وحدة موضوعية بين هذه الجمل المتعددة كأنَّها نصٌّ واحدٌ.

والأمثلة التي سأذكرها تتضمن أدوات الإحالة الآتية، وهي: (الضمائر)، و(الاسماء الموصولة)، و(اسماء الإشارة). وسأمثل لكل أداة من هذه الأدوات ضمن نوعي (الإحالة

النصية)، وهما: (الإحالة الداخلية)، بفرعيها: القبلية والبعدية. و(الإحالة الخارجية المقامية). وبيانٍ ذلك كما يأتي:

أولا: (الإحالة الداخلية) بالضمائر عند علماء العربية:

الإحالة القبلية بالضمير:

وتتحق بعودة الضمير في جملة من جمل النص على عنصر سابق في جملة سابقة من النص نفسه.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧]، وقوله: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾ [النساء: ٥٥]. فالضمير (هم) في قوله: (فَمِنْهُمْ)، هو عنصر إحالي من نوع (الإحالة القبلية) يعود على عنصر سابق وهم: المخاطبون؛ في قوله: (آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ)؛ وهم (اليهود).[٨٨] وقد ذكر ذلك الفراء،[٨٩] والطبري،[٩٠] والزجاج.[٩١]

ومن أمثلته الأخرى، قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]. فالضمير (ها) في قوله: (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) الذي هو جملة متكاملة، يعد عنصرًا إحاليًا من نوع (الإحالة القبلية) يعود على عنصر سابق في الآية نفسها، هو: الرحمة؛ في قوله: (وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ)، أو يعود على: البينة؛ في قوله: (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي). قال المهدوي: ((ويجوز أنْ تكون الهاء والألف في ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، للرحمة، ويجوز أنْ تكون للبينة)).[٩٢]

الإحالة البعدية بالضمير:

وتتحق بعودة الضمير في جملة من جمل النص على عنصر لاحق في جملة لاحقة من النص نفسه.

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٢- ١٣]. فالضمير (الهاء)، في قوله: (وَضَائِقٌ بِهِ)، يحتمل أنْ يكون عائدًا على: (مَا يُوحَى)، أوعلى: (بعض)، أوعلى: (التبليغ)،

في قوله: (تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ)؛ فتكون الإحالة، (قبلية) على عنصر سابق، وكذلك يحتمل الضمير(الهاء)، في قوله: (وَضَائِقٌ بِهِ)، أنْ يكون عائدًا على: (التكذيب)، في قوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) فتكون الإحالة، (بعدية) على عنصر لاحق. وهو توجيه، الفراء،[٩٣] والطبري.[٩٤]

ولنأخذ مثالًا آخر، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]. فالضمير (ها) في قوله: (فَأَسَرَّهَا) يعد عنصرًا إحاليًا من نوع (الإحالة البعدية) يعود على عنصر لاحق في الآية نفسها، وهو قوله: (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا). فيكون الذي أسرَّه يوسف (عليه السلام) في نفسه قوله لهم فيما بعد: (قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا). وهو توجيه، الفراء،[٩٥] والطبري،[٩٦] والنحاس.[٩٧]

وقد رفض الباقولي (ت نحو٥٤٣ه)، أنْ يكون قوله: (قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانً) تفسيرًا، لقوله: (فَأَسَرَّهَا)؛ لأنَّ المفسِّر عنده لابد من أنْ يكون في الجملة نفسها لا في جملة أخرى؛ قال: ((ولا يكون قوله: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾، تفسيراً لقوله ﴿فَأَسَرَّهَا﴾؛ لأنه لا نظير لمثل هذا المثل، والمفسر في كلامهم؛ لأن المفسِّر في جملة، والمفسَّر في جملة أخرى، وإنَّما يكونان في جملة واحدة، نحو: نعم رجلاً زيدٌ، وربَّه رجلاً، وما أشبه ذلك)).[٩٨] فرَفَضَ الباقولي أنْ يأتي المفسِّر في جملة أخرى، جريًا منه على ما جاء به النحاة، في قولهم: (نعم رجلاً زيد)، وقولهم: (وربه رجلاً)؛ فنظرتهم كانت لا تتعدى حدود الجملة؛ أمَّا المفسرون فكانت نظرتهم أوسع؛ لأنَّهم قد فسَّروا ما أسرَّه يوسف (عليه السلام)، في جملة: (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ)، بمقالتِه لهم، في جملة: (قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا)؛ وتفسيرهم هذا يخرج من حيز الجملة الذي قال به الباقولي؛ إلى حيز النَّص، وهو ما قال به المفسرون قبله.

الإحالة الخارجية بالضمير:

وتتحقق بعودة الضمير في جملة من جمل النص على عنصر (خارج النص) غير مذكور في أي جملة من جمل النص. وهذا النوع من الإحالة لا يساهم في التماسك النصي الداخلي بين أجزاء النص، ولكنه يربط النص بمحيطه الخارجي (خارج النص).

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٢]. فالضمير (هم) في قوله: (بَيْنَهُمْ)، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر خارجي غير مذكور في الآية الكريمة، يحتمل أنْ يكون: (الورثة والمُوصَى لهم)، أو(الورثة والمُوصِي). وهو توجيه الفراء،[٩٩] والطبري،[١٠٠] والزجاج.[١٠١]

ولنأخذ مثالًا آخر، وهو قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ [الواقعة: ٣٥]. فالضمير (هُنَّ) في قوله: (أَنْشَأْناهُنَّ) يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر خارجي غير مذكور في الآية الكريمة، هو: (نساء بني آدم عليه السلام). وذلك في الآية (٢٧) من السورة نفسها، في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]. وهو توجيه، الفراء،[١٠٢] وأبو عبيدة،[١٠٣] وابن قتيبة،[١٠٤] والطبري.[١٠٥]

ثانيًا: أمثلة تطبيقية على (الإحالة الداخلية) بالاسماء الموصولة:

الإحالة القبلية بالاسم الموصول:

وتتحقق بعودة الاسم الموصول في جملة من جمل النص على عنصر سابق في جملة سابقة من النص نفسه.

ومن الأمثلة الدالَّة عليه، قوله تعالى:﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩] . فالاسم الموصول (مَنْ) في قوله: (فَمَنْ تَابَ)، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر سابق، وهو قوله: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ). وهو توجيه الطبري.[١٠٦]

ومن الأمثلة الأخرى، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨]. فقوله (مَا) في هذه الآية، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر سابق، هو: (كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) في الآية (١٤٦) من سورة (الأنعام)، التي هي من حيث الترتيب سابقة لسورة (النحل). وهو توجيه، الطبري،[١٠٧] وابن أبي حاتم (ت٣٢٧ه)،[١٠٨] والنحاس.[١٠٩]

الإحالة الخارجية بالاسم الموصول:

وتتحقق بعودة الاسم الموصول في جملة من جمل النص على عنصر (خارج النص) غير مذكور في أي جملة من جمل النص. وهذا النوع من الإحالة لا يساهم في التماسك النصي الداخلي بين أجزاء النص، ولكنه يربط النص بمحيطه الخارجي (خارج النص).

ومن الأمثلة الدالَّة عليه، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. فالاسم الموصول (الَّذِينَ) في هذه الآية يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر خارج النص، يحتمل أنْ يكون: (أُناسًا من بني إسرائيل)، أو(أُناسًا كانوا بواسِطْ العراق). وهو توجيه، الزجاج،[١١٠] وابن أبي حاتم.[١١١]

ومنه، قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. فالاسم الموصول (الَّذِي)، في هذه الآية بحسب ما ذكره المفسرون واللغويون، مثل الفراء،[١١٢] وابن قتيبة،[١١٣] والطبري،[١١٤] والزجاج،[١١٥] وابن أبي حاتم،[١١٦] والنحاس،[١١٧] يحتمل أنْ يكون: (الزوج)، أو(الوليّ)، أو(الأب في ابنته البكر)، أو(السيّد في أَمَتِهِ)، فيكون عنصرًا إحاليًا على عنصر خارج النص.

ثالثًا: أمثلة تطبيقية على (الإحالة الداخلية) باسماء الإشارة:

الإحالة القبلية باسم الإشارة:

وتتحقق بعودة اسم الإشارة في جملة من جمل النص على عنصر سابق في جملة سابقة من النص نفسه.

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨]. فاسم الإشارة (هذا)، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر سابق وهو قوله: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ). وهو توجيه، الطبري.[١١٨]

ومما يعزز المثال الأول، ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فاسم الإشارة (أُولَئِكَ)، يعد عنصرًا إحاليًا على عناصر سابقة وهم: الأنبياء الوارد ذكرهم، في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ

دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٦]. وهو توجيه، الطبري،(١١٩) والزجاج،(١٢٠) وابن أبي حاتم،(١٢١) والنحاس.(١٢٢)

الإحالة الخارجية باسم الإشارة:

وتتحقق بعودة اسم الإشارة في جملة من جمل النص على عنصر (خارج النص) غير مذكور في أي جملة من جمل النص. وهذا النوع من الإحالة لا يسهم في التماسك النصي الداخلي بين أجزاء النص، ولكنه يربط النص بمحيطه الخارجي.

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨]. فاسم الإشارة (هذا)، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر خارجي لم يذكر في النَّص، هو: (القرآن). وهو توجيه، الطبري،(١٢٣) وابن أبي حاتم.(١٢٤)

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٥-١٢٦] . فاسم الإشارة (هذا)، يعد عنصرًا إحاليًا على عنصر خارجي لم يذكر في النَّص، يحتمل أنْ يكون: (القرآن)، أو: (الإسلام). وهو توجيه، الطبري،(١٢٥) وابن أبي حاتم.(١٢٦)

٢. السبك النحوي بـ(الحذف):

يتحقق هذا النوع من السبك بحذف عنصر في جملة ما من جمل النص، على أنْ يستدل على هذا المحذوف بعنصر مذكور في جملة سابقة أو لاحقة من النص نفسه. فهو قريب من مفهوم الإحالة الداخلية؛ ولكن الإحالة هنا على محذوف.

وسأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بالأدوات النحوية التي يتحقق بها مفهوم (الحذف)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (الحذف) عند اللغويين العرب القدامى، والباحثين النصيين المحدثين. وكما يأتي:

(الحذف النصي) عند علماء العربية:

لقد تناول النحاة العرب موضوع (الحذف)، من حيث حذف الحركة، و حذف الحرف، وحذف الكلمة، وحذف الجملة، كل ذلك مع دليل على المحذوف؛ حتى أنَّ الرُمَّاني قد عرَّف (الحذف) بأنَّه: ((إسْقَاط كلمة بخلف مِنْهَا يقوم مقَامهَا)).(١٢٧) وقد أفرد ابن جني (ت٣٩٢ه)، بابًا خاصًّا للحذف في العربية؛ قال في مقدمته: ((قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه)).(١٢٨) فالحذف يكون بدليل يُسْتَدلُّ به على المحذوف. وقد جعل ابن فارس (ت٣٩٥ه)، الحذف، من سُنن العرب في الإيجاز والاختصار.(١٢٩) وعند مطالعة الأمثلة التي ذكرت في باب الحذف تجدها في الكثير الغالب دائرةً في فلك الجملة؛ عدا بعض الأمثلة التي تدخل في حيِّز النَّص، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢١]، فالجملة الشرطية (فإذا عزم الأمر) قد حُذِفَ جوابها، وتقديره، كما ذكر ابن فارس: ((فإذا عزم الأمر كَذبُوه)).(١٣٠) ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [البقرة: ٦٠]، فجملة جواب الأمر: (فَانْفَجَرَتْ) قد حُذِف منها الفعل (ضَرَبَ) الذي يدل عليه الفعل (اضْرِبْ) في جملة الأمر السابقة له؛ والتقدير: ((فضَرب فانفجرتْ)).(١٣١)

و(الحذف النصي) قريب من مفهوم (إيجاز الحذف) عند البلاغيين؛ والذي عرَّفه السُّبكي (ت٧٧٣ه)، بأنَّه: ((يترك فيه شيء من ألفاظ التركيب الواحد، مع إبقاء غيره بحاله، والمحذوف: إما جزء من جملة، أو جملة، أو أكثر)).(١٣٢) فما حُذِفَ من الألفاظ لأجل الإيجاز لابد من وجود لفظ آخر يدلُّ عليه، وقد يكون المحذوف كلمة أو جملة أو أكثر من ذلك. وهذا النوع من الحذف يطابق ما ذكرته قبل قليل من الحذف عند النحاة واللغويين. إلَّا أنَّ البلاغيين يدخلونه في باب (الإيجاز) وهو ما ذكره ابن فارس سابقًا، من أنَّ (الحذف) من سنن العرب في الإيجاز والاختصار.(١٣٣)

وقد وجدت في كلام الزركشي، ما يتصل بمفهوم (الحذف النصي)، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠]، فالآية تتضمن جملتين، الأولى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَاتَلَ)، والثانية: (أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا)، فقد حُذِفَ، ضمير (الهاء) في قوله: (مِنْ بَعْدُ)، في الجملة الثانية، على تقدير: (من بعده)؛ أي: (من بعد الفتح)، والمحذوف قد استُدِلَّ عليه بما ذُكِرَ في الجملة الأولى، في قوله: (مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ). وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣]، فجملة الشرط في الآية (١٧٢) وهي قوله: (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ) على تقدير حذف حرف النفي؛ أي: (ومن لا يستنكف ولا يستكبر)، والنفي المحذوف قد استُدِلَّ عليه بما ذُكِرَ في جملة الشرط التي بعده، في الآية (١٧٣)، وهي قوله: (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

وهذان المثالان يدخلان في مفهوم (الحذف النصي) ذي المرجعية الداخلية؛ أي: أنَّ المحذوف يستدل عليه بما هو مذكور في الآية نفسها أو في السورة نفسها.[١٣٤] فضلًا عن ذلك وجدتُ عنده من الأمثلة على (الحذف النصي) ذي المرجعية الخارجية؛[١٣٥] كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فالمحذوف في جملة: (يَأْتِيَ رَبُّكَ) في الآية (١٥٨) من (سورة الأنعام)، هو: (أمره)، قد استُدِلَّ عليه بجملة: (يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ)، في الآية (٣٣) من (سورة النحل)، في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]. ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الجن: ٢٦] ، فالمحذوف في جملة: (عَالِمُ الْغَيْبِ) في الآية (٢٦) من (سورة الجن)، هو: (الشهادة)، وقد استُدِلَّ عليه بجمل أخرى من سور أخرى،[١٣٦] منها: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، في الآية (٧٣) من (سورة الأنعام)، وجملة: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، في الآية (٩٤) من (سورة التوبة)، وغيرها.[١٣٧]

وقد تناول السيوطي أنواع (الحذف) في كتابه (معترك الأقران)، وذكر من أنواعه (الاختزال)؛ الذي تناول فيه الحذف ضمن التراكيب النحوية كحذف المبتدأ والصفة والمنادى وغير ذلك، وأكثر أنواع الاختزال التي ذكرها في هذه التراكيب وقعتْ داخل تركيب الجملة، عدا بعض الأمثلة القائمة على مفهوم (الحذف النصِّي)، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، فالآية (١٠) تمثل جملة الاستفهام، والآية (١١) تمثل جواب الاستفهام، وقد حُذِفَ من جملة الجواب، الضمير: (هي)؛ أي: (هي نارٌ حامية)، وذلك بدليل ذكر الضمير المحذوف في جملة الاستفهام. مثل قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾: [فصلت: ٤٦]، فجملة جواب الشرط: (فَلِنَفْسِهِ) قد حُذِفَ منها: (عملُه)؛ أي: (فعملُه لنفسِه)، وذلك بدليل ذكر المحذوف في جملة فعل الشرط.(١٣٨)

يتضح من الأمثلة القرآنية التي ذكرها الزركشي في (باب الحذف)، والسيوطي في (باب الاختزال)؛ أنَّ اللغويين العرب قد بحثوا علاقة الحذف بمفهومها النصِّي ولكنهم لم يصرِّحوا بذلك واكتفوا بالتحليل اللغوي العام خارج إطار الجملة والذي يمكن إدراجه ضمن حدود النص؛ لاسيما أنَّهم نظروا للنص القرآني على أنَّه نصٌّ واحدٌ كما ذكرت مسبقًا.

مفهوم (الحذف) عند الباحثين المحدثين:

وقد أشار إليه (بوجراند)، بأنَّه: ((ما يسمى أحيانًا الاكتفاء بالمبنى العدمي)).(١٣٩) أمَّا (هاليداي ورقية حسن)، فيعرفانه، بأنَّه: ((علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أنَّ الحذف عادة علاقة قبلية)).(١٤٠)

والقولان السابقان يمكن توضيحهما بالمقارنة التي عقدها الدكتور محمد خطابي بين (الحذف) و(الاستبدال)، عند شرحه لعلاقة الحذف النصي عند (هاليداي وحسن)؛ قال: ((الحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلَّا بكون الأول-أي: الحذف- استبدالًا بالصفر، أي أنَّ علاقة الاستبدال تترك أثرًا، وأثرها وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرًا، ولهذا فإنَّ المستبدل يبقى مؤشرًا يسترشد به القارىء للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثمَّ نجد في الجملة الثانية فراغًا بنيويًا يهتدي

القارىء إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في الجملة الأولى أوالنص السابق، بتعبير الباحثَيْنِ- هاليداي وحسن)).[١٤١] فـ(الحذف)، كعلاقة تماسك نصِّي؛((ينبغي البحث عنه، في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة))[١٤٢]؛((وذلك لأنَّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساقي))[١٤٣].

أمَّا تعيين المحذوف في إطار التماسك النصِّي، فيتحقق ضمن مفهوم (الإحالة الداخلية) بنوعيها (القبلية) و(البعدية)؛ وذلك لأنَّ المحذوف لابد من وجود دليل عليه داخل النص، قد يكون هذا الدليل سابقًا للمحذوف أو لاحقًا له من حيث الترتيب داخل النَّص. وقد قسَّم الدكتور الفقي، (الإحالة الداخلية) عند الحذف النصي في القرآن الكريم، على نوعين: **الأول:** (حذف مرجعيته داخلية)؛ أي: أنَّ المحذوف يُستدل عليه بما هو مذكور في الآية نفسها أو في السورة نفسها. و**الثاني:** (حذف مرجعيته خارجية)؛ أي: أنَّ المحذوف يستدل عليه بما هو مذكور في سورة أخرى.[١٤٤]

ويقصد بـ(المرجعية الداخلية) و(الخارجية) هنا: (المرجعية على النصوص القرآنية)؛ فإذا كان المحذوف يرجع إلى نص من نفس السورة، فـ(المرجعية داخلية)؛ أي: ضمن السورة نفسها، أمَّا إذا كان المحذوف يرجع إلى آية من سورة أخرى، فـ(المرجعية خارجية)؛ أي: خارج السورة التي حصل في إحدى آياتها الحذف. فليس المقصود هنا بـ(المرجعية الخارجية): المقام الخارجي أو ما يعرف بسياق الحال.

أمثلة تطبيقية على (الحذف النصي):

في ضوء ما سبق كلّه يمكن تقسيم (الحذف النصِّي)، من حيث المرجعية والإحالة على المحذوف، على نوعين، الأول: (حذف نصي مرجعيته داخلية)، والثاني: (حذف نصي مرجعيته خارجية). وسأبينها للقارىء على النحو الآتي:

أولًا: (حذف نصي مرجعيته داخلية):

ويتحقق بين الجمل التابعة لآيات السورة نفسها. وهذا النوع من الحذف النصي قائم على علاقتي (الإحالة القبلية) و(الإحالة البعدية)، فتكون (قبلية) إذا كان المحذوف – في جملة ما من جمل النص– له مذكورٌ يحيل عليه في جملة سابقة. وتكون (بعدية) إذا كان المحذوف – في

جملة ما من جمل النص- له مذكورٌ يحيل عليه في جملة لاحقة؛ لذلك قد قسمته على قسمين، هما:

الحذف النصي الداخلي بدليل الإحالة البعدية:

ويستدل فيه على المحذوف في جملة متأخرة من جمل النص على عنصر سابق مذكور في جملة متقدمة من النص نفسه.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦ - ١٢٧]. فالمحذوف في جملة: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا)، هو: الفعل (نصركم)؛ بدليل ذكر (النَّصْر) في الآية السابقة لها. فيكون (النَّصْرُ) في الآية (١٢٦) عنصرًا إحاليًا يدل على المحذوف في الآية التي بعده، وهي الآية (١٢٧)؛ فتكون الإحالة هنا (بعدية)؛ لأنَّ المذكور يحيل على محذوف بعده. وهو توجيه، الطبري،[١٤٥] والنحاس.[١٤٦]

ومما يعزز الكلام المتقدم ويقويه، ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]. فالمحذوف في جملة الشرط، وهي: (وَإِنْ تُبْتُمْ)، هو: (الرِّبا)، وقد استدل عليه بذكر: (الرِّبَا) في الآية التالية لها. فيكون (الرِّبَا) في الآية (٢٧٨) عنصرًا إحاليًا يدل على المحذوف في الآية التي بعده، وهي الآية (٢٧٩)؛ فتكون الإحالة هنا (بعدية)؛ لأنَّ المذكور يحيل على محذوف بعده. وهو توجيه، الطبري.[١٤٧]

الحذف النصي الداخلي بدليل الإحالة القبلية:

ويستدل فيه على المحذوف في جملة متقدمة من جمل النص بالإحالة على عنصر متأخر مذكور في جملة متأخرة من النص نفسه.

ومن الأمثلة الدالَّة عليه، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۖ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦]. فالمحذوف في جملة: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ)، هو: جملة: (وجعلوا لأصنامهم نصيبًا)؛ بدليل قولهم في الآية نفسها، في جملة: (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا). فيكون قولُهم هذا، عنصرًا إحاليًا يدل على المحذوف في الجملة التي قبله؛ فتكون الإحالة هنا (قبلية)؛ لأنَّ المذكور يحيل على محذوف قبله. وهو توجيه النحاس.(١٤٨)

ومما يعزز ما ذكرته في المثال السابق، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]. فالمحذوف في جملة: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)، هو: شبه الجملة: (بالرسول)؛ بدليل ما ذُكِرَ في الآية نفسها، في الجملة التي بعدها، وهي: (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ)؛ فما ذُكِرَ في هذه الجملة هو مما جاء به النبي ﷺ، فيدلُّ ذلك على أنَّ من يؤمن بالرسول، يكون مِمَّن يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ. فما ذُكِرَ في هذه الجملة المتأخرة يعدُّ عنصرًا إحاليًا يدل على المحذوف في الجملة التي قبله؛ فتكون الإحالة هنا (قبلية)؛ لأنَّ المذكور يحيل على محذوف قبله. و هو توجيه الزجاج.(١٤٩)

ثانيًا: (حذف نصي مرجعيته خارجية) :

ويتحقق بين الجمل التابعة لآيات السور المختلفة. فالمحذوف في جملة ما من جمل سورةٍ ما، تجده مذكورًا في سورة أخرى غيرها.

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ﴾ [النمل: ٩٣]. فالمحذوف في جملة: (سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ)، هو: (فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)، بدليل ما ذُكِر؛ في قوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. فيكون قوله: (فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)، في الآية (٥٣) من (سورة فصلت) عنصرًا إحاليًا يدل على المحذوف في الآية (٩٣) من (سورة النمل)؛ فتكون الإحالة ذات مرجعية خارجية؛ لأنَّ المذكور في (سورة فصلت) يحيل على محذوف في سورة أخرى، هي: (سورة النمل). قال المهدوي: ((وقوله: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾، أي: في أنفسكم، وفي غيركم؛ كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ

وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت: ٥٣])).[١٥٠] وقد ذكر الطبري،[١٥١] والزجاج،[١٥٢] وابن أبي حاتم،[١٥٣] والنحاس،[١٥٤] قبل المهدوي؛ أنَّ معنى قوله تعالى: (سَنُرِيكُمْ آيَاتِهِ)؛ هو: (سَنُرِيكُمْ آيَاتِهِ فِي جميع ما خلق وفي أنفسكم)، من غير أنْ يشيروا إلى آية سورة النمل كما فعل المهدوي.

ومنه، قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ [الليل: ١٤ - ١٦]. فالمحذوف في جملة صلة الموصول، في قوله: (الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى)، بحسب ما ذكر الفرَّاء، هو: (قصَّرَ عمَّا أُمِرَ به)؛ على تقدير: (الذي قصَّرَ عمَّا أُمِرَ به وتولَّى)؛ فالـ(التكذيب) هنا يراد به معنى: (التَّقصير)، واستدلَّ الفرَّاء على معنى: (التكذيب)؛ في هذه الآية، بما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢﴾ [الواقعة: ٢]؛ أي: ليس لوقعتها تقصير وأنَّها لا تُخْلَف؛ فهي واقعة لا محالة.[١٥٥]

٣. السبك النحوي بـ(الاستبدال):

ويتحقق باستبدال عنصر بآخر بين الجمل التابعة للنص الواحد؛ تجنبًا للتكرار. وهو على ثلاثة أنواع: (استبدال اسمي)، و(استبدال فعلي)، و(استبدال قولي).

وسأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بالأدوات النحوية التي يتحقق بها مفهوم (الاستبدال)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (الاستبدال النصِّي) عند اللغويين العرب، والباحثين النصيين المحدثين، وكما يأتي:

(الاستبدال النصي) عند علماء العربية:

لم أجد كلامًا واضحًا حول مفهوم الاستبدال النصي، عند علماء العربية -في حدود اطلاعي- سوى ما ذكره الزركشي في باب التكرار عند تعليله لتكرار، لفظ (كذلك)، في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١١٠]، فالزركشي يرى أنَّ تكرار لفظ (كذلك) في الآيتين: (١٠٥) و(١١٠) من (سورة الصافات)؛ لا يفيد التوكيد، وإنَّما هو مبنيٌّ على ما تقدمَ ذكره، فقوله: (كذلك) في الآية (١٠٥) إشارة إلى ما تقدم ذكره من (نداء الله تعالى لإبراهيم بأنَّه قد صدق الرؤيا)، وقوله: (كذلك) في الآية (١١٠) إشارة إلى ما تقدم من

(فداء اسماعيل عليه السلام، بذبحٍ عظيم من الله تعالى)، وعدَّ الزركشي ذلك من (باب الاكتفاء)؛ قال: ((لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله: ﴿نم نى﴾ ، فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا ولأن التأكيد بالنسبة فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء)).[١٥٦]

لذلك ساعتمد فيما يخصُّ (الاستبدال النصِّي) على ما جاء به النصيّون المحدثون من مفاهيم وتقسيمات.

(الاستبدال النصي) عند الباحثين المحدثين :

وضَّح هاليداي ورقية حسن مفهومه، وذلك بتعريفهما له؛ بأنَّه: ((عملية تتم داخل النص، إنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر)).[١٥٧] وقد بيَّن الدكتور محمد خطابي كيفية الاستبدال وفقًا لرأي هذين الباحثين، قائلًا: ((معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم...وعلاقة الاستبدال تترك أثرًا، وأثرها وجود أحد عناصر الاستبدال...ولهذا فإنَّ المستبدل يبقى مؤشرًا يسترشد به القارىء للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال...و قسم الباحثان الاستبدال إلى اسمي وفعلي وقولي)).[١٥٨]

وقد مثَّل الدكتور أحمد عفيفي لأنواع الاستبدال الثلاثة: (الاستبدال الاسمي)، و(الاستبدال الفعلي)، و(الاستبدال القولي)، كما يأتي:

(الاستبدال الاسمي): ويتحقق باستعمال عناصر لغوية اسمية مثل آخر - آخرون - نفس، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣] ، قال موضحًا طبيعة الاستبدال هنا: ((فقد تم استبدال كلمة (أخرى) بكلمة (فئة) أي: وفئة كافرة وتم الاستدلال على ذلك من النص القرآني نفسه)).[١٥٩] و(الاستبدال الفعلي): ويتحقق باستعمال (يفعل)، ومثَّل له بقولهم: (هل تظن أنَّ الطالب المكافح ينال حقَّه؟)، وجوابه: (أظنُّ أنَّ كل طالب مكافح يفعل)، قائلًا: ((الكلمة (يفعل)، فعلية استبدلت بكلام كان المفروض أنْ يحل محلها وهو ينال

حقَّه)).[١٦٠] و(الاستبدال القولي): ويتحقق باستعمال الأداتين: (ذلك)، (لا)، ومثَّل له بقوله تعالى:﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾: [الكهف: ٦٤]، قائلًا: ((فكلمة (ذلك)، جاءت بدلًا من الآية السابقة عليها مباشرةً:﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣] ، فكان هذا الاستبدال عاملًا على التماسك النصّي بين الآيات الكريمة)).[١٦١]

أمثلة تطبيقية على (الاستبدال النصي):

يتضح مما تقدَّم أنَّ أنواع (الاستبدال النصي) ثلاثة، وهي: (الاستبدال الاسمي)، و(الاستبدال الفعلي)، و(الاستبدال القولي)، وعليه فقد قسمت (الاستبدال) بمفهومه النصي، كعلاقة تماسك نحوية، على ثلاثة أنواع، هي:

أولًا: الاستبدال الاسمي:

ويتمثل بعدم تكرار الاسم في جمل النص الواحد؛ وذلك باستعمال ما ينوب عنه، مثل استعمال كلمة (آخر)، أو(أخرى)، أو(آخرون)، أو ما في معناها.

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]. فقوله: (فِئَةٌ)، قد استبدله بقوله:(أخرى) في الآية نفسها، والاستبدال هنا من النوع (الاسمي)؛ لأنَّه أبدل اسما باسم. وقد أشار مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧ه) ضمنًا إلى الاستبدال النصي هنا؛ قائلًا: ((وترك ذكر الأخرى لدلالة ذكر المؤمنة عليها)).[١٦٢] أي: حذف ذكر (الفئة) في قوله: (وأخرى كافرةٌ)، بدليل ذكر (الفئة)، في قوله: (فئةٌ تقاتلُ)، وهي الفئة المؤمنة التي ذكرها مكي.

ثانيًا: الاستبدال الفعلي:

ويتمثل بنيابة (يفعل) ومشتقاته عن أفعال ذكرتها أو تضمنتها جمل أخرى في النص.

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]. قوله: (فَعَلُوهُ)، يحتمل أنْ يكون استبدالًا، لـ(العداوة)؛ في قوله: (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا)، أوقد يكون استبدالًا لـ(الإيحاء)؛ في قوله: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ) من الآية نفسها. فالفعل: (فَعَلُوهُ) هو

استبدال لما مرَّ ذكره من: (العداوة) أو(الإيحاء). ولا يخفى ما لهذا الاستبدال من أثر في التماسك النصي داخل هذه الآية. وهو توجيه الطبري.[١٦٣]

ثالثًا: الاستبدال القولي :

ويتمثل باستبدال ما تقدَّم ذِكْرُهُ من القول، في جملة من جمل النص باسم الإشارة (ذلك)، أو بأداة النفي (لا) عند ورودهما في جملة أخرى من النَّص نفسه. لذلك قسَّمت الاستبدال القولي، على قسمين، الأول: الاستبدال باسم الإشارة (ذلك)، والثاني: الاستبدال بحرف النفي (لا). وبيان ذلك يكون على النحو الآتي:

الاستبدال القولي باسم الإشارة (ذلك):

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤]. فقوله: (ذَلِكَ) في هذه الآية، هو استبدال لما تقدم القول فيه من الآيات التي رآها بنو إسرائيل، وهذه الآيات (المعجزات) قد تقدَّم ذكرها في قوله تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧] وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، وقوله:﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]. فالمفسرون لم ينصوا على الاستبدال هنا وإنَّما هو ما يُفْهَم من تفسيرهم لمعنى هذه الآية؛ فـ(الآيات) التي رؤوها قد عوِّض عنها باسم الإشارة (ذلك). وهو توجيه، الطبري،[١٦٤] والزجاج.[١٦٥]

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠]. فقوله: (ذلك)، هو استبدال لما تقدم القول فيه من جهلهم لأمر دينهم وتبصُّرهم أمرَ دنياهم فقط، قال المهدوي: ((وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: هذا متصلٌ بقوله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني: أنَّهم إنَّما يُبصرون أمرَ دنياهم، ويجهلون أمرَ دينهم)).[١٦٦]

الاستبدال القولي بـ(لا) النافية:

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. فأداة النفي (لا) في قوله: (فَلَا وَرَبِّكَ) في هذه الآية، استبدال لما تقدم القول فيه من زَعْمِهم بأنَّهم آمنوا بما أُنزل على النبي ﷺ، وبما أُنزل على الأنبياء من قبله، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠]. والمفسرون لم ينصوا على الاستبدال هنا وإنَّما هو ما يُفْهَم من تفسيرهم لمعنى هذه الآية. وهو توجيه، الطبري.[١٦٧]

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: ٩]. فحرف الجواب: (كلا) في قوله: (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ)، يحتمل أنْ يكون بمعنى أداة النفي (لا)، فيكون وفقًا لهذا المعنى استبدالًا لما تقدم القول فيه من زَعْمِهم بأنَّهم مُحِقُّون بعبادتهم غير الله تعالى، في قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]. والمفسرون لم ينصوا على الاستبدال هنا وإنَّما هو ما يُفْهَم من تفسيرهم لمعنى هذه الآية. وهو توجيه، الطبري.[١٦٨]

٤. السبك النحوي بـ(الرَّبط):

ويتمثل هذا النوع من السبك النحوي بأدوات الربط النحوي التي تربط بين الجمل التابعة للنص الواحد.

وسأتناول في هذا القسم السبك النصِّي بالأدوات النحوية التي يتحقق بها مفهوم (الرَّبط)، مقدمًا لذلك بتمهيد لمفهوم (الرَّبط النصِّي) عند اللغويين العرب، والباحثين النصيين المحدثين، وكما يأتي:

الربط النصي عند علماء العربية:

عني النحاة العرب بالروابط داخل الجملة الواحدة.[١٦٩] وكذلك بالروابط بين الجملتين المستقلتين، وهو ما نجده في أسلوب القسم، وأسلوب الشرط، اللذين يتألف كل واحد منهما من جملتين مستقلتين، تربطهما أداة شرط أو قسم، فنجد السيرافي (ت٣٦٨ه)، مثلًا، يصرِّح بدور حرفي الشرط (لو)، و(إنْ) في الربط بين جملتين لا علاقة لإحداهما بالأخرى، تحت (أسلوب الشرط)، قال: ((إنْ، ولو، يدخلان على جملتين مباينة إحداهما للأخرى، كقولنا:

قدم زيد، وخرج عمرو، لا يتعلق قدوم زيد بخروج عمرو، فإذا أدخلنا لو ربطت إحدى الجملتين بالأخرى، وعلقتها بها على المعنى الذي توجبه لو والذي توجبه إن)).[١٧٠] وكذلك نجد ابن الورَّاق (ت٣٨١ه)، ينصُّ على الربط بين جملتين بأدوات الشرط، هما: جملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وذلك عند تعليله سبب الجزم في جملتي الشرط وجوابه، بقوله: ((وإنَّما خصت بالجزم؛ لأنَّ الشرط والجزاء يقتضي جملتين كقولك: إنْ تضربْ أضربْ، فلطول ما يقتضيه الشرط والجزاء اختير له الجزم؛ لأنَّه حذف وتخفيف)).[١٧١] وكذلك الزمخشري نصَّ على الربط بأدوات الشرط بين جملتين مستقلتين، قال: ((إن، ولو، يدخلان على جملتين، فيجعلان الأولى شرطاً والثانية جزاءً؛ كقولك: إنْ تضربني أضربك ولو جئتني لأكرمتك)).[١٧٢] وقد نصَّ أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧ه)، على دور الأدوات: (اللام) و(إنْ) و(ما) و(لا)، في الربط بين (جملة القسم) و(جملة جواب القسم)، قائلًا: ((فإن قيل: فَلِمَ جعلوا جواب القسم باللام، وإن، وما، ولا؟ قيل: لأنَّ القسم وجوابه لَمّا كانا جملتين؛ والجمل تقوم بنفسها، وإنما تتعلَّق إحدى الجملتين بالأخرى، برابطة بينه وبين جوابه؛ وجوابه لا يخلو إمّا أن يكون موجبًا أو منفيًّا؛ جعلوا الرابطة بينهما بأربعة أحرف؛ حرفين للإيجاب، وهما: اللام، وإن وحرفين للنفي، وهما: لا، وما)).[١٧٣]

وكذلك عني النحاة العرب فيما يخص الروابط بين الجمل، بعطف الجملة على الجملة بحروف العطف؛ قال ابن عصفور في باب (عطف النَّسق): ((وهو حمل الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أوالجملة على الجملة، بشرط توسُّط حرفٍ بينهما من الحروف الموضوعة لذلك)).[١٧٤] وحروف العطف، هي: (الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأم، وأو، وبل، ولا).[١٧٥] وتفيد الربط بين الجمل المختلفة.

وسأوضِّح عمق إدراك النحاة العرب لدور الأدوات النحوية كروابط بين الجمل في التماسك النصِّي، وذلك في المقدمات التي وضعتها لكل نوع من أنواع الربط بين الجمل، وهو ما سأفصِّل القول فيه بعد بيان مفهوم (الربط النصِّي) عند المحدثين.

(الربط النصِّي) عند المحدثين:

وقد عبَّر عنه (بوجراند)، بأنَّه: ((العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات)).[١٧٦] وتتمثل أنواع الربط عنده: بـ(مطلق الجمع، والفصل، والاستدراك،

والتفريع، والتخيير).[١٧٧] وقد وضَّح الدكتور أحمد عفيفي، أنواع الربط السابقة، ما نصُّه: ((النوع الأول: (مطلق الجمع): ويربط بين صورتين حيث يوجد اتحاد أو تشابه بينهما يمكن استعمال: (الواو، أيضًا، بالإضافة، إلى، علاوة على هذا). النوع الثاني: (التخيير): ويربط بين صورتين تكون محتوياتهما متماثلة وصادقة، غير أنَّ الاختيار لابد أنْ يقع على محتوى واحد، في هذه الحالة يمكن استعمال: (أو). النوع الثالث: (الاستدراك): ويربط الاستدراك على سبيل السبب بين صورتين من صور المعلومات، بينهما علاقة تعارض، ويمكن استعمال: (لكن، بل، مع ذلك). النوع الرابع: (التفريع): ويشير إلى العلاقة بين صورتين بينهما حالة تدرج، أي: أنْ تحقق واحدة منهما يتوقف على حدوث الأخرى. ويستخدم لذلك: لأنْ، مادام، من حيث، ولهذا، بناء على هذا، ومن ثم، هكذا، إلخ)).[١٧٨]

ولا يخفى الغموض الذي في تعريف (بوجراند) للربط النصي؛ لكن إذا ما رجعنا إلى تعريف (هاليداي ورقية حسن)، فستتضح الصورة أكثر، فهما يعرفانه، بأنَّه: ((تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم)).[١٧٩]

وهذا التعريف هو الآخر بحاجة إلى توضيح، وقد وضَّحه الدكتور محمد خطابي قائلًا: ((معنى هذا أنَّ النص عبارة عن جمل أومتتاليات متعاقبة خطيًّا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص. ولما كانت وسائل الربط متنوعة فقد فرَّع الباحثان هذا المظهر إلى: إضافي وعكسي وسببي وزمني)).[١٨٠] فالربط كما ذكر الدكتور خطابي عند (هاليداي وحسن) على أربعة أنواع، هي: (ربط إضافي): يتمثل بالأداتين(و)، و(أو). و(ربط عكسي): يتمثل بالأدوات (كيفما)، (لكنْ)، (مهما)، (حتى)، (إلَّا أنَّ). و(ربط سببي): يتمثل بالعلاقات الآتية: (النتيجة)، (الشرط)، (لسبب). و(ربط زمني): يتمثل بالأداة (عندئذ)، (إذ) الظرفية.[١٨١]

ويتضح الربط النَّصي أكثر عند (فان دايك)؛ وذلك عند بيانه لدور أدوات الربط النحوية في تماسك جمل النَّص؛ قال: ((إنَّ أدوات الربط لا تبين فقط معنى الجمل القضايا، وتفصلها عن جمل أخرى (قضايا)، بل يمكن أيضًا أنْ تعمل على بناء تراكيب متتالية من الجمل)).[١٨٢] فأدوات الربط النحوي لها دور مهم وفعَّال في بناء وتركيب وحدات النَّص وتماسكه. وقد صنَّف (فان دايك) الربط بين الجمل بالأدوات النحوية، على عدَّة أنواع، هي: (العطف

التشريكي)، و(الفصل)، و(التقابل)، و(الاستدراك)، و(الشرط)، و(التعليل)، و(الغاية)، و(الظرفية).[١٨٣]

أمَّا أنواع الربط النصِّي بالأدوات النحوية في العربية، فإنَّه لا يخرج عن الأنواع الآتية، وهي: (الربط التشريكي بالعطف)، و(الربط الاستدراكي بـبل، ولكنْ، وأم)، و(الربط الحالي بـواو الحال أو بـالواو وقد)، و(الربط التعليلي بـإذ، ولذا، ولام التعليل، مع الفعل المضارع ، وكي، وعلّ، ولعل)، و(الربط الغائي بـحتى، وبما في ذلك، وإلى أنْ)، و(الربط التشبيهي، بأدوات التشبيه)، و(الربط الشرطي، بأدوات الشرط).[١٨٤]

أمثلة تطبيقية على (الربط النصي):

مما تقدم كله، يتضح أنَّ (الربط النصي) يتحقق بالأدوات النحوية الرابطة بين الجمل المختلفة للنص الواحد. وحتى يتضح دور هذه الأدوات النحوية الرابطة في (التماسك النصِّي)؛ سأتناولها مقسمة على مجموعات، تمثِّل كل مجموعة منها نوعًا من أنواع الربط في العربية، ومما رصدته من أنواع الربط، ستة أنواع، هي: (الربط التشريكي)، و(الربط الاستدراكي)، و(الربط الإضرابي)، و(الربط التعليلي)، و(الربط التشبيهي)، و(الربط الشرطي). وساقتصر على ذكر ثلاثٍ منها بغية الاختصار، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولا: الربط التشريكي:

ويَتِمُّ بحروف العطف: (الواو)، و(الفاء)، و(ثم)؛ التي تشرك شيئين في الحكم والإعراب.[١٨٥] ويتحقق الربط النصي بهذه الحروف بعطفها الجمل المختلفة العائدة إلى نصٍّ واحد، كما يأتي:

الربط التشريكي بـ(الواو) العاطفة :

الواو العاطفة، هي: حرف يفيد الإشراك في الإعراب والحكم؛ قال المبرد (ت٢٨٥ه): ((ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول)).[١٨٦] ويتحقق الربط النصي بـ(الواو العاطفة) بربطها بين الجمل المختلفة،[١٨٧] سواء في الآية الواحدة أم في الآيات المختلفة. ولابن يعيش كلام قريب من مفهوم الربط النصِّي بالعطف، يقول فيه: ((والغرضُ من عطف الجمل ربطُ بعضها ببعضٍ، واتصالُها، والإيذانُ بأنّ المتكلم لم يُرِد قطع الجملة الثانية من الأُولى، والأَخذ في جملةٍ أخرى ليست من الأُولى في شيءٍ. وذلك إذا كانت الجملة الثانية اجنبيّةً من الأولى غير ملتبِسة بها، وأريد اتّصالُها بها، فلم يكن بدٌّ من الواو لربطها بها)).[١٨٨]

ومن الأمثلة على الربط بالواو العاطفة بين الجمل، قوله تعالى:﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. فـ(الواو) تعطف الجملة الفعلية (يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)، على جواب الشرط : (يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ)، وذلك على قراءة النصب في الفعل (وَيَتُوبَ)، بإضمار (أنْ).(١٨٩) وهو توجيه، ابن الأنباري،(١٩٠) وابن جني.(١٩١)

الربط التشريكي بـ(الفاء) العاطفة :

(الفاء) العاطفة: تفيد الإشراك في الحكم والإعراب مع الترتيب؛ قال المبرد: ((وهى توجب أَنَّ الثانى بعد الأَوّل وأَنّ الأَمر بَينهمَا قريب)).(١٩٢) وقد ذكر ابن هشام أنَّ الفاء الرابطة بين الجمل الغالب فيها أنْ تكون سببية مرتبطة بجواب الشرط؛ وكذلك قد تربط الجمل من غير إفادة معنى السببية؛ قال: ((وللفاء معنى آخر وهو التسبب وذلك غالب في عطف الجمل...وقد تخلو الفاء العاطفة للجمل عن هذا المعنى)).(١٩٣)

ويتحقق الربط النصي بـ(الفاء العاطفة) وذلك بربطها بين الجمل المختلفة في الآية الواحدة أو في الآيات المختلفة.

ومن الأمثلة على الربط بالفاء العاطفة بين الجمل، قوله تعالى:﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾[النساء: ٨٤]. فـ(الفاء) العاطفة ربطت بين جملة: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، وبين جملة: (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، في قوله:﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٧٤]. وكذلك تحتمل أنْ ترتبط بجملة: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، في قوله:﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النساء: ٧٥]. وهو توجيه، الزجاج،(١٩٤) والنحاس.(١٩٥)

الربط التشريكي بـ(ثُمَّ) العاطفة:

(ثُمَّ): حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي والإشراك في الحكم والإعراب.[١٩٦] ويتحقق الربط النصي بـ(ثم العاطفة) وذلك بربطها بين الجمل المختلفة سواء في الآية الواحدة أم في الآيات المختلفة. وقد اختلف النحاة في الحرف (ثُمَّ) هل يفيد ترتيب الأخبار مع الأزمان، أم يفيد ترتيب الأخبار فقط، من غير مراعاة للأزمان.[١٩٧] لذلك جعلتْ الربط النصي بـ(ثم) على قسمين، الأول: إفادتها ترتيب الأخبار فقط، والثاني: إفادتها ترتيب الأخبار مع الأزمان. وبيان ذلك يكون على النحو الآتي:

إفادة (ثُمَّ) ترتيب الأخبار فقط :

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. فـ(ثُمَّ) العاطفة ربطت بين جملة: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)، وبين جملة: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ). ومجيء (ثُمَّ) في جملة: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)؛ يفيد ترتيب ما أُمِرَ به موسى من القول، وهو:﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٣]. وهو توجيه الزجاج.[١٩٨]

وقد اختلف في كون (ثُمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. تفيد ترتيب الأخبار مع المهلة أم تفيد ترتيب الأخبار فقط من غير مهلة؟ فقد ذكر أبو حيان الأندلسي (ت٦٤٥هـ)، الكثير من الآراء التي تذهب إلى إفادة (ثمَّ) في هذه الآية معنى الترتيب مع المهلة، فقال: أنَّها متكلفة والصحيح أنَّ (ثمَّ) هنا بمعنى (الواو) فتفيد الترتيب من غير مُهْلَةٍ؛ وذلك

في قوله: ((والذي ينبغي أن يذهب إليه أنها استعملت للعطف كالواو من غير اعتبار مهلة وقد ذهب إلى ذلك بعض النحاة)).[١٩٩] والذي ذهب إليه أبو حيان، هو معنى كلام الفرَّاء، وابن مالك (ت٦٧٢ه) الذي نقله ابن هشام عنهما، قال ابن هشام: ((وَأما المهلة فَزعم الْفراء أَنَّهَا قد تتخلف بدليل قولك: أعجبني مَا صنعت اليوم ثمَّ مَا صنعت أمس أعجب؛[٢٠٠] لأنَّ (ثُمَّ)، فِي ذلك لترتيب الْإِخْبَار ولا تراخي بين الإخبارين. وجعل منه ابن مالك،[٢٠١] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الْآيَة [الأنعام: ١٥٤])).[٢٠٢]

إفادة (ثُمَّ) ترتيب الأخبار مع الأزمان:

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾ [يونس: ٥٠، ٥١]. فـ(ثُمَّ) العاطفة ربطت بين جملة: (أَثُمَّ إِذَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ)، وبين جملة: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ). فمجيء (ثُمَّ) في جملة: (أَثُمَّ إِذَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ)؛ لأجل الربط بين (إتيان العذاب) في الآية (٥٠) وبين (إيمانهم) في الآية (٥١) في حال وقوع العذاب. فتفيد (ثُمَّ) هنا ترتيب الأخبار والأزمان.

قال المهدوي: ((﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ﴾، المعنى: أتأمنون إذا نزل بكم العذابُ أنْ تؤمنوا؟ فيقال لكم: آلآن آمنتم وقد كنتم بالعذاب تستعجلون؟ ودخلت ألف الاستفهام على (ثم)؛ والمعنى: التقرير؛ ليدل على أنَّ مجيء الجملة الثانية بعد الأولى)).[٢٠٣] وذكره ابن عطية،[٢٠٤] وأبو حيان الأندلسي،[٢٠٥] ولم ينسباه للمهدوي.

ثانيًا: الربط على معنى الإضراب :

ويَتِمُّ بثلاثة حروف، هي: (بل)، و(أم)، و(أو). ويتم الربط النصِّي بهذه الأحرف عندما تربط بين جملتين من جمل النص الواحد؛ أمَّا عند دخولها على المفرد فلا تفيد الربط النصي، وإنَّما تفيد الربط داخل الجملة الواحدة. وبيان الربط النصَّي بهذه الأحرف يكون على النحو الآتي:

الربط الإضرابي بـ(بَلْ):

(بل): حرف يفيد الإضراب؛ أي: إثبات الأمر للثاني ونفيه عن الأول.[٢٠٦] ويدخل على المفرد وعلى الجملة، فإذا دخل على الجملة فهو حرف ابتداء لا عطف، ويفيد، إمَّا الإضراب

الإبطالي؛ نحو قوله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، أو الإضراب الانتقالي، نحو قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٦].(٢٠٧)

أمَّا إذا دخل على المفرد، فهو حرف عطف يفيد الإضراب؛ وذلك إذا سُبِقَتْ: بإيجاب؛ نحو: (قام زيد بل عمرو)، أو أمر؛ نحو: (ليقم زيد بل عمرو)، أو نفي؛ نحو: (ما جاءني عمرو بل بكر)، أو نهي؛ نحو: (لا تضربْ زيدًا بل عمرًا).(٢٠٨) وإذا سبقت (بل) بإيجاب أو أمر؛ فإنَّها: ((تجْعَل مَا قبلهَا كالمسكوت عَنهُ فَلَا يحكم عَلَيْهِ بِشَيْء وَإِثْبَات الحكم لما بعْدهَا)).(٢٠٩) وإذا سبقت بنفي أَو بنهي؛ فإنَّها: ((لتقرير مَا قبلهَا على حَالَته وَجعل ضِدّه لما بعده)).(٢١٠)

فـ(بل) الداخلة على الجملة تفيد الربط النصِّي؛ لأنَّها تربط بين جملتين تجمعهما وحدة موضوعية كالنَّص الواحد. أمَّا إذا دخلت على المفرد فتفيد الربط داخل الجملة الواحدة، وتخرج عن ميدان الربط النصِّي. وبيان ذلك يكون على النحو الآتي:

إفادة (بل) الربط النصِّي الإضرابي:

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥]. فـ(بل) في جملة: (بَلِ افْتَرَاهُ) تفيد الإضراب الانتقالي؛ الذي يبين انتقال المشركين من ادَّعاء إلى آخر في حقِّ القرآن الكريم المنزَل على النبيﷺ؛ فادَّعوا بأنَّه سِحرٌ، وذلك في قولهم:﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣]، ثم ادَّعوا بأنَّه أضغاثُ أحلامٍ، وذلك في قولهم: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [الأنبياء: ٥]، ثم ادَّعوا ثالثةً بأنَّه مُفْتَرى من النبيﷺ، وذلك في قولهم: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥]. قال المهدوي: ((وقوله: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: دخلت (بل) وليس في الكلام جحد؛ لأنَّه خبرٌ عن أهل الجحود، فأخبر تعالى بتناقضهم)).(٢١١) وقد فصَّل أبو السعود (ت٩٨٢ه)، القول في الإضراب التي يدل عليه (بل)، في قوله: (بَلِ افْتَرَاهُ)، قائلًا: ((إضرابٌ من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخرَ مضطربٍ في مسالك البطلان، أي لم يقتصرُوا على أن يقولوا في حقه ﷺ : هل هذا إلا بشرٌ وفي حق ما ظهر

على يده من القرآن الكريم إنه سحرٌ بل قالوا تخاليطُ الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا: (بَلِ افتراه) من تلقاء نفسِه من غير أن يكون له أصلٌ أو شبه أصلٍ)).[٢١٢]

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. فـ(بل) في جملة: (بَلْ بَدَا لَهُمْ) تفيد الإضراب الإبطالي، وهو إبطال ما أدَّعوه بقولهم:﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]. قال المهدوي: (((بل): إضراب عن تمنِّيهم وادِّعائهم الإيمان لو رُدُّوا؛ ومعنى ﴿ بَدَا لَهُم ﴾، في قول الحسن: بدا لبعضهم ما كان يُخفيه بعضٌ، وقيل: بدا لهم وبالُ ما كانوا يُخفون من الكفر)).[٢١٣] وكذلك قد فصّل أبو السعود،[٢١٤] القول في معنى الإضراب في (بل)، في قوله: (بَلْ بَدَا لَهُمْ)، متوسعًا فيه بما يضيق به مجال البحث هنا.

إفادة (بل) الربط الجُمَلِي الإضرابي:

ومن أمثلته، قوله تعالى:﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]. فـ(بل)، في جملة: (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)؛ حرف عطف يفيد الإضراب بإثبات الحكم لما بعده والسكوت عمَّا قبله؛ لأنَّه سُبق بأمرٍ،هو قوله: (كُونُوا). فتفيد (بل) هنا إثبات الهداية لمن كان على ملة إبراهيم (عليه السلام). فقد وجه سيبويه،[٢١٥] والفراء،[٢١٦] وأبي عبيدة،[٢١٧] نصب (مِلَّةَ) على إفادة معنى الأمر. أمَّا الزجاج فقد وجه النصب على تقدير حذف المضاف.[٢١٨] وقد نسب مكي بن أبي طالب،[٢١٩] لأبي عبيدة، النصب على الإغراء، والمثبت في كتاب أبي عبيدة خلاف ذلك، إذ تقدم اختياره النصب على الأمر متابعًا سيبويه في ذلك.[٢٢٠] فكل هذه التقديرات مرتبطة بـ(بل) فإنه يفيد الإضراب عن اتباع اليهودية والنصرانية، واتباع مِلَّةَ إبراهيمَ (عليه السلام).

الربط الإضرابي بـ(أمْ) المنقطعة:

(أمْ) المنقطعة: حرف عطف يفيد الإضراب، بمعنى: (بل)، وتسبق بالاستفهام أو بالخبر.[٢٢١] وتدخل على الجمل فقط مما يدخلها في مفهوم (الربط النصِّي)؛ قال ابن الناظم مبينًا ذلك: ((أما أم المنقطعة: فهي الواقعة بين جملتين، ليستا في تقدير المفردين، بل كل منهما مستقل بفائدته)).[٢٢٢] وقد بين الدكتور فاضل السامرائي أنَّها تفيد الإضراب الانتقالي فقط،

قال: ((إنَّ (أمْ) لا تستعمل إلَّا في الإضراب الانتقالي، ولا تستعمل في الإضراب الابطالي)).(٢٢٣)

ومن الأمثلة على الربط النصِّي بـ(أمْ) المنقطعة، للإضراب، قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[يونس: ٣٧، ٣٨]. فـ(أم) المنقطعة، في جملة: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ)؛ هي حرف يفيد الإضراب الانتقالي؛ فتفيد (أم) هنا الانتقالي من إثبات أنَّ القرآن مُنزَّلٌ من الله تعالى، وذلك في قوله: (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، إلى بيان ادَّعاء المشركين أنَّ القرآن مُفترى من النبي ﷺ. وهو توجيه الزجاج؛ قال: ((المعنى: بل أيقولون افتراه، هذا تقرير لهم؛ لإقامة الحُجة عليهم)).(٢٢٤)

ومن الأمثلة الأخرى، قوله تعالى:﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢]. فـ(أم) المنقطعة، في جملة: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)؛ هي حرف يفيد الإضراب الانتقالي؛ فتفيد (أم) هنا الانتقالي من تفاخر فرعون بالمُلك الذي عنده، وذلك في قوله: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)، إلى تفضيل نفسه على موسى (عليه السلام) الذي ليس له من المُلك مما عند فرعون، في قوله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ). وهو توجيه أبي عبيدة.(٢٢٥)

الربط الإضرابي بـ(أو):

أشار سيبويه، إلى معنى الإضراب في (أو)، ولم ينصَّ عليه صراحةً، وذلك عند حديثه عن تكرار النفي والنهي عند العطف، بـ(أو)؛ في قولهم: (لست بِشْراً أو لست عمراً)، وقولهم: (ما أنت ببشرٍ، أو ما أنت بعمرو)، فذكر سيبويه أنَّ تكرار النفي بعد (أو) العاطفة يجعلها بمنزلة (بل) التي تفيد الإضراب؛ قال: ((لم يجيء إلا على معنى: لا بل ما أنت بعمرو، ولا بل لست بِشْرًا)).(٢٢٦) وقد نسب أبو البركات الأنباري القول بإفادة (أو) الإضراب؛ مثل: (بل)، للكوفيين، وبأنَّ البصريين لم يجيزوه.(٢٢٧)

ومهما يكن من خلافهم؛ فـ(أو) تفيد معنى الإضراب كـ(بل) والدليل على ذلك أنَّ سيبويه قد أشار في المثال السابق إلى إفادة (أو) معنى (بل). والحقيقة أنَّ أكثر النحاة قالوا بإفادة (أو)

معنى الإضراب.[٢٢٨] وقد اسماها ابن الأثير(ت٦٠٦ه)، بـ(المنقطعة)؛ قال: ((والمنقطعة: كقولك: أنا أخرج أو أقيم، أضربت عن الخروج وأثبتّ الإقامة)).[٢٢٩] وقد ذكر الرضي (ت٦٨٦ه)، أنَّ (أو) التي للاضراب؛ عند دخولها على المفرد؛ تكون حرف عطف، وعند دخولها على الجملة تكون حرف ابتداء.[٢٣٠] وبدخولها على الجملة يتحقق (الربط النصي)؛ وذلك لربطها بين جملتين في نصٍّ واحد.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. فـ(أو) الداخلة على جملة: (يَزِيدُونَ)، حرف ابتداء يفيد الإضراب على معنى: (بل)؛ على تقدير: (بل يزيدون). وهو توجيه، الأخفش (ت٢١٥ه)،[٢٣١] والطبري،[٢٣٢] والزجاج.[٢٣٣]

ثالثًا: الربط الشرطي :

ويَتمُّ بـ(فاء السببية)،[٢٣٤] التي تدخل على جواب الشرط فتربط بين (جملة الشرط) و(جملة جواب الشرط)، وكذلك تدخل على جواب ما يشبه الشرط، مثل: (أمَّا).[٢٣٥] وتسمَّى في الحالتين بـ(الفاء الجوابية).

ويتحقق الربط النصِّي بـ(الفاء الجوابية) عندما تربط بين جملتين مختلفتين؛ تكون إحداهما سببًا في حدوث الأخرى، قال ابن جني: ((وإنما جيء بالفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر)).[٢٣٦] وقد نصَّ السيرافي على دور أدوات الشرط، مثل: (لو)، و(إنْ)، في الربط بين جملتين مختلفتين، وذلك في قوله: ((إنْ، ولو، يدخلان على جملتين مباينة إحداهما للأخرى، كقولنا: قدم زيد، وخرج عمرو، لا يتعلق قدوم زيد بخروج عمرو، فإذا أدخلنا (لو) ربطت إحدى الجملتين بالأخرى، وعلقتها بها على المعنى الذي توجبه لو والذي توجبه إن)).[٢٣٧] وكذلك الزمخشري قد نصَّ على الربط بأدوات الشرط بين جملتين مستقلتين، قال: ((إن، ولو، يدخلان على جملتين، فيجعلان الأولى شرطاً والثانية جزاءً؛ كقولك: إنْ تضربني أضربك ولو جئتني لأكرمتك)).[٢٣٨] وكذلك قد نصَّ ابن بابشاذ (ت٤٦٩ه)، على أنَّ (الفاء الجوابية) تربط كل ما فيه الشرط أومعنى الشرط؛ قائلًا: ((والفاء دخلت؛ لتعلق الجواب بالشرط. وكذلك تفعل بالفاء في باقي كل ما يشرط به)).[٢٣٩]

ومن الأمثلة على الربط النصّي بالفاء الجوابية الداخلة على جواب الشرط بين جملتين، قوله تعالى:﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]. فالفاء في قوله: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، قد ربطت بين جملة جواب الشرط: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، في هذه الآية، وبين جملة الشرط: (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ)، في قوله:﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ٧٤﴾ [النساء: ٧٤]. وهو توجيه الزجاج، وقد ذهب الزجاج أيضًا إلى أنَّ قوله: (فقاتل) يجوز أنْ يكون متصلًا، بقوله:﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٥]، على معنى الأمر بالقتال في سبيل الله، قال: ((ويجوز أن يكون متصلاً بقوله: (وما لكم لا تقاتلون في سَبِيلِ اللَّهِ) أي: أيُّ شي لكم في ترك القتال (فقاتل في سبيل الله). فأمره الله بالقتال ولو أنه قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر)).[٢٤٠]

ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]. فالفاء في قوله (فَلَا أَعْبُدُ) قد ربطت بين جملة جواب الشرط: (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وجملة الشرط: (إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي). وفي الحقيقة إنَّ الشرط هنا فيه تعريض؛[٢٤١] ومعناه قد بيَّنه الطبري؛ قائلًا: ((وهذا تعريض ولحنٌ من الكلام لطيفٌ. وإنما معنى الكلام: إنْ كنتم في شك من ديني، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئًا ولا تضر ولا تنفع. فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكُّوا فيه؛ لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء، وينفعهم ويضرُّهم إن شاء)).[٢٤٢]

المبحث الثاني

الحبك النصي: (Coherence)

سأتناول في هذا المبحث مفهوم (الحبك النصي) عند علماء العربية وعند الباحثين المحدثين، لبيان سبق علماء العربية للباحثين المحدثين في مجال التحليل النصي، ودليل سبقهم هو ما سأذكره من الأمثلة المتعلقة بالحبك النصي و تأصيلها بما جاء في كتب المفسرين واللغويين السابقين واللاحقين؛ فيتضح بذلك قِدَم التحليل النصي عند علماء العربية وأصالتهم في هذا

المضمار، مع بيان أنَّ الفارق بين عملهم وعمل المحدثين كما ذكرت مسبقًا يكمن في التبويب والمصطلح، والفضل للمحدثين في هذا الباب هو إحياؤهم للتراث اللغوي العربي عند محاولتهم لجلاء معنى المصطلح الغربي الوافد باسقاطه على النَّص العربي، لاسيما عند تطبيقه على النص القرآني الكريم. وبيان ذلك كما يأتي:

(الحبك النصِّي) عند علماء العربية:

ويُراد بـ(الحبك النصي): الروابط المعنوية بين الجمل المُؤلِّفة للنَّص الواحد؛ والتي تعمل على انسجام النَّص والتحام الجمل المؤلِّفة له.

ويتَّضح (الحبك النَّصِّي) عند علماء العربية، في أمور ثلاثة، أولها: (المناسبة القرآنية) عند المفسرين؛ وهي أكثرها وضوحًا وجلاءً للتحليل النصِّي عندهم. والثاني منها: (باب الإيجاز والإطناب) عند البلاغيين، وثالثها: (العلاقات الدلالية من حيث تخصيص العام وتفصيل المجمل) عند الأصوليين. وبيانها على النحو الآتي:

فـ(المناسبة القرآنية) عند المفسرين تدخلُ في صُلبِ (الحبك النصِّي)؛ لأنَّها قائمة على الترابط المعنوي بين الآيات و السور؛ إذ عني المفسرون في موضوع (المناسبة القرآنية)، ببيان المناسبة بين الآية والآية التي قبلها أو التي بعدها، و كذلك بيان المناسبة بين السورة والسورة التي قبلها أو التي بعدها، وكذلك بيان المناسبة بين الجملتين المتغايرتين من حيث المضمون داخل الآية الواحدة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨]. فقد بيَّن الفخر الرازي (ت٦٠٦ه)، وجه العطف بين (الأمر بأداء الأمانة إلى أهلها)، في جملة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا)، وبين: (الأمر بالحكم بالعدل)، في جملة: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)، فظاهر الأمر أنَّ لا علاقة بين مضمون الجملتين، فالأولى في أداء الأمانة، والثانية في الحكم بالعدل؛ فيعلل الرازي هذا الربط بين الجملتين مبيِّنًا المناسبة بينهما؛ قائلًا: ((ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بغيره لا جرم أنه تعالى ذكر الأمر بالأمانة أولا، ثم بعده ذكر الأمر بالحكم بالحق فما أحسن هذا الترتيب؛ لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)).[٢٤٣] فمن يؤدي الأمانة إلى أهلها بالضرورة هو يمتلك العدالة التي تجعله يحكم بين الناس فيكون عادلًا في حكمه.

ومن الأمثلة على بيان وجه المناسبة بين الآيتين المتتاليين؛ قوله تعالى:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: ١، ٣]. فقد بين الشيخ عبد القاهر الجرجاني المناسبة بين الآية (٢)، والآية (١)، من هذه السورة بقوله: ((﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، اتصالها من حيث ذكر المسجد الأقصى الذي هو قبلة بني إسرائيل، ومن حيث قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾، قال: رؤية موسى)).[٢٤٤] وقد ذكر الباقلاني والرازي والزركشي مناسبات أخرى بين هاتين الآيتين.[٢٤٥]

ومن الأمثلة على بيان وجه المناسبة بين السورتين المتتاليتين؛ من حيث مطالع السُّور وخواتيمها، ما ذكره الزركشي من المناسبة بين مطلع سورة البقرة؛ وهو قوله تعالى:﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، وبين ختام سورة الفاتحة، وهو قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فمطلع سورة البقرة هو إشارة إلى (الصراط) في ختام سورة الفاتحة؛ فـ((كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة)).[٢٤٦]

ومن الأمثلة على بيان وجه المناسبة بين السورتين المتتاليتين؛ من حيث مضمون كل واحدةٍ منهما، المناسبة بين مضمون (سورة الكوثر)، ومضمون السورة التي قبلها، وهي (سورة الماعون)؛ قال الزركشي: ((ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر هنا في مقابلة البخل﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١]؛ أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ [الكوثر: ٢] ، أَيْ دُمْ عليها وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾[الكوثر: ٢]،

أَيْ: لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة)).(٢٤٧)

وفضلًا عمَّا ذكرته من الأمثلة على عناية المفسرين بموضوع (المناسبة القرآنية)؛ فهنالك مؤلفات قد أُفْرِدَتْ لهذا النوع من التفسير القائم على الوحدة الموضوعية بالحبك النصِّي؛ مثل: (البرهان فى تناسب سور القرآن)، لأبي جعفر الغرناطي (ت٧٠٨ه)، ومثل: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، للبقاعي (ت٨٨٥ه). ومثل: (تناسق الدرر في تناسب السور)، للسيوطي (ت٩١١ه)، وغيرها.

فموضوع (المناسبة القرآنية) الذي بحثه المفسرون العرب خير دليل على تجاوزهم حدود الجملة إلى حدود النَّص، كما مرَّ من بحثهم المناسبة بين مجيء الجملتين المتغايرتين في آية واحدةٍ. وكذلك بحثهم المناسبة بين الآيتين المتتاليتين، وخاصَّة عندما يُفقد الوجه الرابط بين الآيتين؛ كما تقدَّم في (سورة الإسراء)، من ذكر قصة موسى (عليه السلام) بعد ذكر الإسراء بالنبيﷺ إلى المسجد الأقصى. وكذلك بحثهم المناسبة بين مطلع السورة وختام السورة التي قبلها. وكذلك بحثهم المناسبة بين السورتين المتتاليتين من حيث المضمون. فبحثهم في المناسبات السابقة يجعل عملهم داخلًا في صلب التماسك النصِّي بالحبك الدلالي؛ أي: التماسك النصِّي بالعلاقات المعنوية بين أجزاء النَّص الواحد. ويعد ذلك دليل سبقهم للباحثين المحدثين في ميدان (علم النَّص).

أمَّا فيما يتعلق بباب (الإيجاز والاطناب)؛ فقد عني البلاغيون فيه ببيان العلاقة بين ألفاظ النَّص ومعناه، فدرسوا العلاقة بين كثافة ألفاظ النَّص ومعناه.(٢٤٨) فما كان منطوقه أقل من معناه؛ جعلوه في (باب الإيجاز)، وما كان منطوقه زائدًا عن معناه؛ جعلوه في (باب الإطناب)، مع الأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يُؤدَّى فيه النَّص، وهو ما صرَّح به السكاكي (ت٦٢٦ه)؛ بقوله: ((فالإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب: هو أداؤه بأكثر من عباراتهم)).(٢٤٩)

و(إيجاز القِصَر)؛ الذي يتحقق به (الحبك النَّصِّي)، نجده عند ابن أبي الأصبع العدواني (ت٦٥٤ه)، في (باب حُسْنِ النسق)، من كتابه (تحرير التحبير)؛ فهو يعرِّف (حسن النسق)، بأنَّه: ((أن تأتى الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات، متلاحمات تلاحماً سليماً

مستحسناً، لا معيباً مستهجناً، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه، واستقل معناه بلفظه، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما، ونقص كمالهما، وتقسم معناهما، وهما ليسا كذلك، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع)).[٢٥٠] فهو في هذا التعريف يشير إلى العلاقات المعنوية بين أجزاء النَّص الواحد سواءٌ أكان بيتًا شعريًا أم نصًّا نثريًا؛ مما يجعل كلامه في (حسن النسق) داخلًا في (الحبك النَّصِّي) القائم على الترابط المعنوي المفهومي بين أجزاء النَّص؛ فحسن النسق عنده يجعل الأبيات الشعرية المتتابعة-والتي يمثِّل كلَّ بيتٍ منها كلامًا مستقلًا عن الآخر- نصًّا واحدًا متكامل المعنى؛ وذلك في قوله السابق: (أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه، واستقل معناه بلفظه، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما، ونقص كمالهما، وتقسم معناهما).

والتحليل النصِّي القائم على العلاقات المعنوية المفهومة بين أجزاء النَّص يتضح بصورة جليَّة عند تحليله؛ لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود: ٤٤]. فقد حلَّل هذه الآية مبينًا الروابط المعنوية بين جمل هذه الآية؛ قائلًا: ((فأنت ترى إتيان هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهم، إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يتهيأ ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض، فأمرها بالابتلاع، ثم علم سبحانه أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء، ولم تقطع مادة الماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما كان ما ينزل من السماء مخلفاً لما تبتلعه الأرض، فلا يحصل الانحسار فأمر سبحانه السماء بالإقلاع بعد أمره الأرض بالابتلاع، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ما على الأرض، وانقطعت مادة السماء، وذلك يقتضي أن يكون ثالث الجملتين المتقدمتين، ثم قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، أي: هلك من قدَّر هلاكه، ونجا من قضيتُ نجاته، وهذا كنه الآية، وحقيقة المعجزة، ولا بد وأن تكون معلومة لأهل السفينة، ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها، وخروجهم منها موقوف على ما تقدم،

فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الملة رابعة الجمل، وكذلك استواء السفينة على الجودي؛ أي: استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقراراً لا حركة معه، لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها، وذلك يقتضي أن يكون بعد ما ذكرنا، وقوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، هذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق، فدعا سبحانه على الهالكين، ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال، وذلك يقتضى أن تكون بعد كل ما تقدم، والله أعلم. فانظر إلى حسن هذا النسق، وكيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء)).[٢٥١]

فالآية الكريمة تتضمن خمس جمل، هي: جملة: (يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ)، وجملة: (وَيَاسماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ)، وجملة: (وَقُضِيَ الْأَمْرُ)، وجملة: (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)، وجملة: (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). فمع وجود الرابط اللفظي بين هذه الجمل، وهو الواو العاطفة؛ إلَّا أنَّ هذه الجمل تترابط فيما بينها ترابطًا معنويًا؛ من حيث تتابع الأحداث وتصوير هذا المشهد الذي يتجلى فيه العقاب والرحمة؛ فالعقاب للقوم الظالمين؛ الذي قَضوا في الطوفان، والرحمة بنجاة من كان في السفينة من الطوفان الذي أغرق كلَّ شيء؛ إلَّا من كان في السفينة رحمةً من الله تعالى بخلقه وحفاظًا على استمراريتهم وعدم انقراضهم. والتحليل الذي ذكره ابن أبي الأصبع هو تفصيلٌ لما ذكره عبد القاهر الجرجاني؛ من الإعجاز في هذه الآية المتمثل بنظمها؛ وذلك في قوله: ((إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤]، فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لمن يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها؟)).[٢٥٢]

فشملت هذه الآية من الإيجاز ما شغل البلاغيين فأجالوا فكرهم فيها؛ فـ((قد جمعت هذه الآية من عجيب البلاغة أشياءً: منها: أن الكلام خرج مخرج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من نحو: كن فيكون، من غير معاناة ولا لغوب. ومنها: حسن تقابل المعاني. ومنها: حسن ائتلاف

الألفاظ. ومنها: حسن البيان في تقدير الحال. ومنها: الإيجاز من غير إخلال. ومنها: تقبل الفهم على أتم الكمال. إلى غير ذلك من المعاني اللطيفة)).[٢٥٣]

أمَّا (الإطناب) فتتضح علاقته بالحبك النَّصِّي، في (الإطناب بالتكرار)، ضمن مفهوم (التكرار النصِّي)،[٢٥٤] وقد مثل له الخطيب القزويني (ت٧٣٩ه)، بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ [النحل: ١١٠]، وبقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩]، وذلك بتكرار (ثُمَّ) في الآيتين، بين الجمل، ويعلل القزويني التكرار هنا بسبب طول الكلام.[٢٥٥] وفي الحقيقة لا يخفى أثر التكرار في إيجاد التماسك النصِّي بين الجمل المؤلِّفة لهاتين الآيتين الكريمتين.

أمَّا (العلاقات الدلالية من حيث تخصيص العام وتفصيل المجمل)، وعلاقتها بـ(الحبك النصِّي)؛ فقد عني المفسرون والمصنفون في علوم القرآن من الأصوليين بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ عبر جمل النص. وهذه العلاقات الدلالية وفقًا لما جاء عندهم، هي: (البيان والتفسير)، و(الإجمال والتفصيل)، و(العموم والخصوص).[٢٥٦] فمثلًا يأتي اللفظ مبهمًا في جملة من جمل النصِّ القرآني، فيأتي بيانها في جملة أخرى سابقة لها أو لاحقة لها، وكذلك قد يأتي اللفظ عامًّا في جملة ثم يأتي تخصيصه في جملة أخرى، وأيضًا قد يأتي اللفظ مجملًا في جملة ويأتي تفصيله وبيانه في جملة أخرى. وقد أفردت قسمًا لكلٍّ من (تخصيص العام) و(تفصيل المجمل)، الذي يتحقق به الحبك النصِّي مع التمثيل له بالأمثلة القرآنية.

أمَّا (التفسير والبيان)، فهو باب واسعٌ جدًّا ويندرجُ تحته: (تخصيص العام)، و(تفصيل المجمل)؛ وهو ما نصَّ عليه أبو الوفاء البغدادي (ت٥١٣ه)؛ قائلًا: ((البيان: مما لا يضبطه حد؛ حيث كان مشتملا على أنواع فمنها: النص، والظاهر، والعموم، وتفسير المجمل، وتخصيص العموم، ودليل الخطاب، وفحوى الخطاب)).[٢٥٧]

(الحبك النصِّي) عند المحدثين:

لقد تناول (بوجراند) الترابط المفهومي بين أجزاء النَّص؛ بقوله: ((إنَّ المفردات، أو مجموعات الوحدات المكونة من الكلمات، إنَّما هي عبارات؛ أي: اسماء سطحية للدلالة على

مفاهيم وعلاقات تحتية. واستعمال العبارات في الاتصال يُنَشِّط هذه المفاهيم والعلاقات بمعنى أنَّه يدخل محتواها في المخزون العقلي النشط...فالترابط المفهومي أعمق من الترابط الرَّصفي)).[٢٥٨] فالترابط المفهومي، يعني به (الحبك النَّصِّي)، وهو أعمق من (الترابط الرصفي)؛[٢٥٩] أي: (السبك النَّصي)؛ لأنَّ (الترابط المفهومي) بين أجزاء النَّص قائم على العلاقات المفهومة بين أجزائه؛ والتي لا يبوح بها النَّص ببنائه؛ وهو ما صرَّح به (ليفاندوفسكي) عند تعريفه لـ(الحبك النَّصي)، بأنَّه: ((حصيلة تفاعل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنَّها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النَّص غالبًا على مستوى الشكل؛ فالمستمع أو القارىء هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه)).[٢٦٠]

فالحبك النَّصي، قائم على الترابط المعنوي بين أجزاء النَّص وهذا الترابط لا يكشفه بناء النَّص اللغوي، وإنَّما تكشفه العلاقات والمفاهيم التي يستنتجها القارىء أو المستمع من هذا النَّص؛ لذلك قد عرَّف الدكتور محمد العبد، الحبك النَّصي من حيث جوهره، بأنَّه: ((تنظيم مضمون النَّص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا. وتسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أُسُّ حبكِ النَّص. والنَّص الذي يوصف بأنَّه لا معنى له، هو النَّص الذي لا يستطيع مستقبلوه أنْ يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل)).[٢٦١]

وقد تناول (فان دايك)، هذه العلاقات المفهومة بين أجزاء النَّص، في ثلاثة محاور، ويتمثل الأول منها: بـ(العلاقات التي تربط بين أجزاء الخطاب)؛ ويقابله عند علماء العربية (العلاقات الدلالية من حيث تخصيص العام وتفصيل المجمل).[٢٦٢] والثاني منها: (بنية الخطاب من حيث كونه تامًّا أو ناقصًا)؛ ويقابله عند البلاغيين العرب (الإيجاز والإطناب).[٢٦٣] والثالث منها: (البنية الكلية أو موضوع الخطاب)؛ ويقابله عند المفسرين (المناسبة القرآنية بين الآيات والسوّر).[٢٦٤]

يتضح من المحاور التي تناول فيها (فان دايك) الحبك النَّصي، مع ما يقابلها عند علماء العربية؛ أنَّهم كانوا أقدم من حيث التحليل النَّصي لموضوع انسجام النَّص من حيث العلاقات المعنوية المفهومة بين أجزائه؛ إلَّا أنَّ المحدثين كانوا أكثر وضوحًا من حيث التبويب والتعريف

والتقسيم لهذا العلاقات المعنوية؛ وهي نتيجة طبيعية؛ لأنَّ العلوم تنضج مصطلحاتها ومفاهيمها بمرور الوقت مع كثرة التجارب والتطبيق.

أمثلة تطبيقية على (الحبك النصِّي):

سأتناول الحبك النصَّي عند علماء العربية من حيث المحاور الثلاثة التي ذكرتها عند (فان دايك)؛ لأنَّها تمثل بمجموعها مفهوم الحبك النصي عند المحدثين،(٢٦٥) كما أنَّها تلتقي مع ما ذكرته من (الحبك النصي عند علماء العربية). وبيان ذلك كما يأتي:

(بنية الخطاب من حيث كونه تامًّا أو ناقصًا):

يريد (فان دايك) بتمام الخطاب ونقصانه؛ كمية المعلومات التي يقدمها الخطاب مما يساعد على وضوح معناه؛ مع مراعاة الإطار المعرفي للمخاطبين؛ أي ما يمتلكونه من معلومات تتعلق بالخطاب الموجَّه إليهم.(٢٦٦) وهذا المفهوم للخطاب يماثله مفهومي (الإيجاز والاطناب) عند البلاغيين؛ فهم كما ذكرت مسبقًا؛ قد درسوا العلاقة بين كثافة ألفاظ النَّص ومعناه؛(٢٦٧) فما كان منطوقه أقل من معناه؛ جعلوه في (باب الإيجاز)، وما كان منطوقه زائدًا عن معناه؛ جعلوه في (باب الإطناب)، مع الأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يُؤدَّى فيه النَّص،(٢٦٨) ويقصد بالمقام هنا ما تعارف عليه الناس في حديثهم عند تأديتهم للمعنى.(٢٦٩) أي: أنَّ معنى الخطاب يجب أنْ يراعى فيه كثافة اللفظ والعرف الاجتماعي لمن يوجَّه لهم الخطاب؛ فوفقًا لذلك يحكم على الخطاب بأنَّه تام أو ناقص، أو بأنَّه موجز أو مطنب.

ومن الأمثلة على (الإيجاز والإطناب)، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. فوحد الضمير في قوله: (يُنْفِقُونَهَا)؛ وذلك بعودته على (الفضَّة)، مع أنَّ سياق الآية هو التثنية؛ أي: (ينفقونهما)؛ فيعود الضمير بذلك؛ على (الذهب والفضة) اللذين تقدم ذكرهما؛ فعدَّ المهدوي ذلك من باب الإيجاز والاختصار. قال المهدوي: ((وقيل:-الضمير في﴿يُنفِقُونَهَا﴾- هو للفضة التي أخبر عنها، واستغنى عن الإخبار عن الذهب إيجازًا واختصارًا، ومثله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١])).(٢٧٠)

ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ [يونس: ٥]. فقوله تعالى: (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) قد يراد به الإيجاز فوحد الضمير العائد على الشمس والقمر؛ فيكون حساب الاشهر بالشمس والقمر، وهو ما يطلق عليه التقويم القمري والشمسي. وقد لا يُراد به الإيجاز؛ فيكون حساب الأشهر بالقمر فقط لا بالشمس،أي: بالتقويم القمري فقط. والتقويم القمري يقابله التقويم الهجري ، والتقويم الشمسي يقابله التقويم الميلادي، والفرق بين السنة الشمسية والقمرية عدَّة أيام، قال المهدوي: ((﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾: قيل: المعنى: وقدَّرهما، فوحَّد إيجازًا واختصارًا؛ كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] . وقيل: الإخبار عن القمر وحده؛ إذ به تحصى الشهورُ التي عليها العملُ في المعاملات ونحْوِها)).[٢٧١]

(البنية الكلية أو موضوع الخطاب) :

ويريد به (فان دايك) المعنى العام المستنتج من ترابط الجمل أو النصوص المتعددة؛ التي تشكل بمجموعها موضوعًا عامًا؛ تدورُ حولَه وتُألِّفُ كليته، وذلك في قوله: ((ويجب أنْ نلاحظ أنَّ الجمل المفردة أو القضايا لا تؤدِّي من حيث هي كذلك دور الوظيفة السردية هذه بل تؤدي فقط دور قضية ذات بنية كبرى مستنتجة بواسطة متوالية من القضايا)).[٢٧٢] وقريب من هذا المفهوم مفهوم (عتبات النَّص)؛أي: (عنوان النَّص)؛ لأنَّ ((العنوان يتضمن العمل الأدبي بأكمله مثلما يستتبع هذا الأخير ويتضمن العنوان أيضًا، والعنوان يعلن ويتركب من عدَّة عناصر حين يتقدم كجملة مكثَّفة تساهم كل مركبات الخطاب في صنعها)).[٢٧٣] فكذلك الأمر في المعنى العام المستنتج من الجمل العديدة أو النصوص العديدة المشكِّلة لنصٍّ كبير يجمعها.

وهذا المفهوم لـ(البنية الكلية أو موضوع الخطاب) يماثله مفهوم (المناسبة القرآنية) عند المفسرين؛ فهم كما ذكرت مسبقًا؛ قد درسوا البنية الكلية للنَّص القرآني من حيث السور التي يتألف منها موضحين وجه ارتباط السورة اللاحقة بالسابقة أوالعكس، أو وجه اراتباط الآية بالآية التي قبلها أو التي بعدها.[٢٧٤]

ومن الأمثلة على (المناسبة القرآنية) قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ

قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٦ - ٢٧]. فوجه اتصال الآية (٢٧) -التي هي إخبار عن قتل أحد ابني آدم للآخر- بالآية (٢٦) -التي هي إخبار عن عقاب الله لليهود بعصيانهم نبيهم موسى(عليه السلام)، في قتال الجبارين بالتِّيْه- هو كما قال المهدوي: ((وجه اتصال هذه الآية بما قبلها: التنبيه من الله تعالى على أنَّ ظلم اليهود ونقضَهم العهود كظلم أحد ابنَي آدم لأخيه، وفي ذلك تبكيت لمن خالف الإسلام، وتسلية للنبيﷺ)).[٢٧٥]

ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٩]. فوجه اتصال الآية (١٠٩)-التي هي في بيان اتساع قدرة الله تعالى لأنَّ ما في السماوات والأرض في قبضته- بالآيات (١٠٥)، (١٠٦)، (١٠٧)، (١٠٨) - التي هي في بيان أحوال المؤمنين والكافرين- هو كما قال المهدوي: ((وجه اتصال هذا بما قبله: أنَّه لما ذَكَرَ أحوال المؤمنين والكافرين، وأنه لا يريد ظلمًا للعالمين؛ وَصَلَهُ بذِكر اتساع قُدرَته وغِناهُ عن الظُّلْم؛ لكون ما في السماوات وما في الارض في قَبْضَته)).[٢٧٦]

(العلاقات التي تربط بين أجزاء الخطاب):

ويريد به (فان دايك) العلاقات المفهومة بين أجزاء النَّص، والتي تعمل على تماسكه؛ وذلك في قوله: ((وسائر ضروب الترتيب...قد تعتمد على علاقات بين الأفراد أوالخواص المدلول عليها في الجمل المتتابعة. وجملة الضوابط التي تحدد الترتيب الطبيعي لجهة اعتبار الأحوال الموصوفة، تلخص على الشكل الآتي: (عام-خاص، كل-جزء-مركب، مجموعة-فئة-عنصر، المُتضمِّن- المُتضمَّن، كبير-صغير، خارج -داخل، المالك-المملوك). وإنَّما انتزع تصور هذه العلاقات من علاقة: (المتقدم - المتأخر)، عن طريق انتظام سلسلة الجمل)).[٢٧٧] فانتظام

الجمل داخل سلسلة النَّص هو الذي يحدد طبيعة العلاقات المعنوية التي تربط هذه الجمل ببعضها داخل النَّص، والتي يدركها المتلقِّي وفقًا لما يقتضيه ترتيب الجمل، أو بالانتباه؛ قال الدكتور خطابي: ((نعتقد أنَّ أهم ما أشار إليه فان دايك، فيما يتعلق بترتيب الوقائع وترتيب المتتالية، هو العلاقات التي تحكم هذا الترتيب، وهي علاقات تخضع لمباديء معرفية كالإدراك والاهتمام)).[٢٧٨]

وقد عني علماء العربية بهذا النوع من الحبك النَّصي القائم على العلاقات المعنوية المفهومة بين أجزاء النَّص القرآني في كتبهم، من حيث (تخصيص العام)، و(تفصيل المجمل). وسأفصل القول في هذين النوعين من العلاقات المعنوية على مستوى النَّص عندهم؛ على سبيل المثال لا الحصر، وذلك في مطلبين، هما:

المطلب الأول: (العام وتخصيصه) :

سأتناول في هذا المطلب تخصيص اللفظ العام، والخطاب العام، في جملة من جمل النَّص القرآني بجملة أخرى من النَّص القرآني نفسه؛ ويسمَّى هذا النوع من التخصيص؛ التخصيص بالدليل النقلي من القرآن الكريم، الذي يندرج تحت (المخصصات المنفصلة).

وقبل ذكر الأمثلة التطبيقية على تخصيص اللفظ العام، والخطاب العام، بالدليل النقلي من القرآن الكريم؛ لابد من بيان معنى اللفظ العام، وأنواعه، وبيان أنواع المخصصات المنفصلة، وبيان ذلك كما يأتي:

العام، تعريفه:

عرَّفه الفخر الرازي، بأنَّه:((اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد؛ كقولنا: الرجال؛ فإنَّه مستغرق لجميع ما يصلح له)).[٢٧٩] أمَّا الآمدي (ت٦٣١ه)، فقد عرَّفه، بأنَّه: ((اللفظ الواحد الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معا)).[٢٨٠] فمما سبق يمكن تعريف (العام)، بأنَّه: ((اللفظ الموضوع وضعًا واحدًا للدلالة على جميع ما يصلح له من الأفراد، على سبيل الشمول والاستغراق من غير حصر في كمية معينة أو عدد معين)).[٢٨١] واللفظ العام يجب أنْ تتوافر فيه عدَّة شروط، هي:

أ. العام لا بد فيه من الاستغراق، أما ما لا استغراق فيه فلا يدخل تحت العام.

ب. الاستغراق في العام شامل لجميع أفراده في آن واحد.

ج. الاستغراق في العام لا حد ولا حصر له، وبذلك تخرج اسماء الأعداد فإنها محصورة.
د. الاستغراق في العام يتعلق بشيء واحد، فنجد العام يستغرق شيئًا واحدًا.[٢٨٢]

الألفاظ الدالّة على العموم:

للعموم ألفاظ كثيرة، منها:(كل، جميع، عامة، أي، سائر، كافة، قاطبة)، وأقواها (كل). و(اسماء الاستفهام). و(النكرة في سياق النفي والنهي)، وإذا سبقت النكرة هنا بـ(من) فتكون نصًّا في العموم، وتكون النكرة نصًّا في العموم أيضًا، إذا كانت اسم لا النافية للجنس المبني على الفتح. و(النكرة في سياق الشرط أو الاستفهام). و(النكرة في سياق الخبر والإثبات)، فهي للخصوص سواء أكانت جمعًا أم مفردًا. و(الفعل في سياق النفي أو النهي). و(الاسم المحلى بـأل الاستغراقية لا العهدية)، سواء كان مفردًا أم جمعًا أم اسم جمع أم اسم جنس. وهو مشترك مع الخصوص، لذلك يشترط فيه أنْ لا يكون مشارًا به إلى شخص معهود. و(المضاف إلى معين)، سواء أكان المضاف جمعًا أم مفردًا. وقد يراد به الخصوص. و(الذي والتي) وفروعهما، وسائر الاسماء الموصولة كـمن ، ما ، أي، فهي محمولة على العموم، وقد يراد بها الخصوص إلَّا أنَّ العموم هو الأصل. و(ما دل على خاص فهو عام في أجزائه)، ودليل عمومه أنَّه بمعنى (كل).[٢٨٣]

المخصصات المنفصلة للعموم في القرآن الكريم:

تُخصَّص عمومات القرآن الكريم، سواءٌ أكانت ألفاظًا مفردةً أم خطاباتٍ عامّة؛ بثلاثة أدلَّة، هي: (الدليل العقلي)، و(الدليل الحسِّي)، و(الدليل النقلي)، وجميع هذه المخصصات مستقلة عن السياق اللغوي الذي يرد فيه اللفظ العامّ؛ لذلك سُمِّيَت بـ(المنفصلة).[٢٨٤]

والذي يخصُّ البحث هنا، هو التخصيص بالدليل النقلي من القرآن الكريم؛ فقد يأتي اللفظ أو الخطاب عامًّا، في آية من آيات الكتاب الكريم؛ ثمَّ يأتي تخصيصه في آية أخرى من آيات القرآن الكريم؛ وهذان النوعان من التخصيص؛ أي: (تخصيص الألفاظ العامة)، و(الخطابات العامَّة)، سأتناولهما تحت عنوان: (الحبك النَّصِّي بتخصيص العام).

أمَّا بقية (المخصصات المنفصلة)، وهي: (الأدلَّة العقلية)، و(الأدلَّة الحسيَّة)، فهي متعلقة بتخصيص معنى المفردة القرآنية، في سياقها غير اللغوي (الخارجي).

أمثلة تطبيقية على (الحبك النَّصِّي بتخصيص العام):

سأتناول الحبك النصي بتخصيص العام هنا من حيث تخصيص اللفظ العام، ومن حيث تخصيص الخطاب العام. وبيانها كما يأتي:

الحبك النَّصِّي بتخصيص اللفظ العام في القرآن بالقرآن:

وتخصيص اللفظ العام في القرآن الكريم بالقرآن نفسه، هو أنْ يأتي اللفظ عامًّا في آية من الآيات الكريمة، ثم يأتي تخصيصه في آية أخرى. والذي يؤخذ على الأصوليين في كتبهم المعتمدة في هذا الباب أنَّهم لم يولوه عنايتهم واهتمامهم، وإنَّما ركزوا على تخصيص الخطابات العامَّة في القرآن الكريم بالقرآن نفسه.

وتخصيص اللفظ العام في القرآن الكريم بالقرآن نفسه، قد حاز على عناية الزركشي وهو من الأصوليين المعتبرين، فقسَّم تخصيص اللفظ العام في القرآن الكريم على ثلاثة أحوال، الأول: أنْ تكون الجملة المُخَصِّصَة في الآية نفسها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، فالعموم الذي في لفظ (النساء) في جملة: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)، والذي يعمُّ البالغة والصغيرة، العاقلة أو المجنونة؛ قد خُصِّصَ بجملة الشرط، في قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا)، فخَصَّصَتِ العمومَ الذي في لفظ (النساء) في الجملة السابقة، بالعاقلة البالغة من النساء. والثاني منها: أنْ تكون الجملة المخصصة في آية أخرى من السورة نفسها؛ كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، فقد خصص العموم الذي في لفظ (الميتة)، في هذه الآية بما جاء في قوله تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) [المائدة: ٤]، التي اباحت أكل الصيد الذي يموت في فم الطير الجارح الذي عُلِّمَ على الصَّيْد؛ فخصَّصت هذه الآية العموم الذي في لفظ (الميتة) في الآية (٣) من سورة المائدة. والثالث منها: انْ تكون الجملة المخصِّصة في آية أخرى من سورة أخرى؛ كتخصيص العموم في لفظ (الدَّم)، في قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، بالاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فخُصِّصَ العموم الذي في لفظ (الميتة) في الآية (٣) من (سورة المائدة) بالاستثناء الوراد في الآية (١٤٥) من (سورة الأنعام).[٢٨٥] يتضح من الحالات الثلاثة السابقة أنَّ اللفظ العام في القرآن الكريم قد يأتي تخصيصه في الآية نفسها، أو في آية أخرى من السورة نفسها؛ أو في آيةٍ أخرى من سورةٍ أخرى.

ومن الأمثلة على هذا النوع من التخصيص الذي يؤدي إلى الحبك النصي، قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. فالعموم الذي في لفظ (مَنْ) في قوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا)، قد خصص بقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ). قال المهدوي: ((فهذا عند أكثر العلماء من الذي لفظُه لفظُ العموم، ومعناه الخصوص)).[٢٨٦] وقال أيضًا: ((وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾الآيتين: هذا عامٌّ في اللفظ خاصٌّ في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ﴾)).[٢٨٧] وما ذكره المهدوي ذكره أيضًا ابن عطية (ت٥٤٢هـ)،[٢٨٨] وابن العربي (ت٥٤٣هـ)،[٢٨٩] وقد فصَّل الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، القول في الخصوص الذي يحتمله لفظ (مَنْ) هنا؛ وذلك في ثلاثة أمور، الأول منها: أنَّ الآية مختصة بالكفار، والثاني: أنَّها نزلت في بعض المنافقين، والثالث: أنَّها في اليهود والنصارى. قال مبينًا ذلك على الترتيب: فـ((القول الأوَّل: أنها مختصة بالكفار؛ لأنَّ قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ يندرج فيه المؤمن والكافر والصديق والزنديق؛ لأنَّ كل أحد يريد التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها إلا أن آخر الآية يدل على أن المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، لا يليق إلا بالكفار فصار تقدير الآية من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط أي تكون إرادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالبًا لسعادات الآخرة كان حكمه كذا وكذا، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فيه فمنهم من قال المراد منهم منكروا البعث فإنهم ينكرون الآخرة ولا يرغبون إلا في سعادات الدنيا، وهذا قول الأصم وكلامه ظاهر. والقول الثاني: أنَّ الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسولﷺ، الغنائم من دون أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها. والقول الثالث: أنَّ المراد اليهود والنصارى)).[٢٩٠]

ومن الأمثلة الأخرى، ما ورد في قوله تعالى:﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ١ - ٣]. فالعموم الذي في لفظ (الناس) في قوله: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ)، قد خصص

بقوله: (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)، وبقوله: (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ). قال المهدوي: ((ابن عباس: المراد بـ(الناس) ههنا: الكفَّار؛ بدليل قوله: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، إلى قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾)).[٢٩١] وقد بيَّن الفخر الرازي كيفية التخصيص في لفظ (الناس)، في قول ابن عباس الذي جعل (الناس) هنا دالًّا على: الكُفَّار منهم، قال الفخر الرازي: ((قال ابن عباس: المراد بـ(الناس): المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين)).[٢٩٢] ويعني الرازي بالدليل القائم من صفات المشركين؛ ما جاء في قوله تعالى: (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)، إلى قوله: (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ).

ولنأخذ مثالًا آخر، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]. فالعموم الذي في لفظ (الذين) في قوله: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا)، قد خصص بقوله: (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ)؛ فخُصِّصَ، قوله: (الذين)، بـ(أهل الكتاب، وعبدة الأوثان). قال المهدوي: ((ففسر الموصول - في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾- بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ لأنَّ فرق الكفار الثلاثة قد كان منها الهُزؤُ واللَّعِب، فلو فسَّر الموصول بـ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ خاصَّة؛ لعمَّ الجميع، إلَّا أنَّه لمّا كان الأغلب في ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ أنْ تستعمل في المشركين؛ احتيج إلى بيان)).[٢٩٣] وتخصيص، الذين اتخذوا دين المسلمين هزوًا ولعبًا؛ بـ(المشركين) أولًا، ثم تخصيصه بـ(الكفار) ثانيًا؛ في قوله تعالى: (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ)؛ الغرض منه التفريق بين هاتين الفرقتين من الكفَّار؛ قال القاضي ابن عطية (ت٥٤٢ه)، في ذلك: ((وفرقت الآية بين الكفار وبين الذين أوتوا الكتاب من حيث الغالب في اسم الكفار أن يقع على المشركين بالله إشراك عبادة أوثان، لأنهم أبعد شأوا في الكفر، وقد قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]. ففرق بينهم إرادة البيان والجمع كفار وكان هذا لأن عباد الأوثان هم كفار من كل جهة)).[٢٩٤]

الحبك النَّصِّي بتخصيص الخطاب العام في القرآن بالقرآن:

أمَّا تخصيص الخطاب العام في القرآن بالقرآن نفسه؛ فهو أنْ يأتي الخطاب عامًّا في آية من الآيات الكريمة، ثم يأتي تخصيصه في آية أخرى. وقد أولاه الأصوليون عنايتهم وتناولوه تحت عنوان؛ (تخصيص الكتاب بالكتاب)؛ قال أبو الحسين البصري (ت٤٣٦ه): ((وأما تخصيص الكتاب بالكتاب فإنّه إذا جاز أنْ يبين الله سبحانه بخطابه العام بعض ما تناوله فقط جاز أن يدلنا على ذلك بالكتاب،

كما جاز أن يدلنا بالكتاب على غير ذلك من الأحكام، وقد خص الله سبحانه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وخص قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]،...فجاز كون بعضه بيانًا لبعض)).[٢٩٥] والذي ذكره هو ما أجمع عليه جمهور الأصوليين في هذا الباب.[٢٩٦]

ومن الأمثلة على هذا النوع من التخصيص الذي يؤدي إلى الحبك النصي، قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فالعموم الذي في خطاب الأمر في (عدَّة المطلقات)، في قوله: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)، قد خُصِّصَ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فيخرج من عموم (عدَّة المطلقات) هنا؛ (غير المدخول بها)، وكذلك قد خُصِّصَ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فيخرج من عموم (عدَّة المطلقات) هنا؛ (التي لم تَحِضْ)، و(اليائسة من المحيض)، و(الحامل). وهو توجيه، قتادة،[٢٩٧] والنحاس،[٢٩٨] والجصاص.[٢٩٩] والقاضي أبو يعلى (ت٤٥٨ه)،[٣٠٠] والشيرازي (ت٤٧٦ه).[٣٠١]

ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]. فالعموم الذي في خطاب نفي قبول الشفاعة عن آباء بني إسرائيل، في قوله: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)، قد خُصِّصَ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وبقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. قال المهدوي: ((وهذا عام في اللفظ خاص في المعنى، خوطب به اليهود ؛لانهم زعموا أن آباءهم يشفعون لهم ، وبين ذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨])).[٣٠٢] وقد بيَّن الفخر الرازي تخصيص العموم الذي في نفي الشفاعة

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فـ(الشفاعة) هنا نكرة في سياق النفي؛ مما يدلُّ على عمومها، وهي في هذه الآية منفية على عمومها؛ ولكنْ هذا النفي العام قد ورد تخصيصه في آيتين كريمتين؛ الأولى، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، قال: ((أخبر تعالى عن ملائكته أنهم لا يشفعون لأحد إلَّا أنْ يرتضيه الله عز وجل)).[٣٠٣] والثانية، قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، قال: ((ولو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكانت الشفاعة قد تنفعهم وذلك ضد الآية)).[٣٠٤] والغرض من ذكر هاتين الآيتين تخصيص صفة الشفاعة؛ فالأولى: تجعل الشفاعة لمن أرتضى الله تعالى من عباده، والثانية: تبعد الشفاعة عن من لا يستحقونها. هو الرَّد على المعتزلة القائلين بنفي الشفاعة؛ قال: ((والجواب على جميع أدلة المعتزلة بحرف واحد وهو أن أدلتهم على نفي الشفاعة تفيد نفي جميع أقسام الشفاعات وأدلتنا على إثبات الشفاعة تفيد إثبات شفاعة خاصة)).[٣٠٥]

وكذلك قد ردَّ بدر الدين الرازي (ت بعد٦٣٠ه)، على من قال بنفي الشفاعة؛ بذكر الآيات الكريمات التي تفيد إثبات وجود الشفاعة،[٣٠٦] ويمكن إدراج هذه الآيات التي سيأتي ذكرها ضمن مخصصات العموم الذي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وهذه الآيات، هي: قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

ولنأخذ مثالًا آخر، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. فالعموم الذي في خطاب العذاب الذي سيلحق الكافرين، ومن كانوا يعبدونهم، في قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)، قد

خُصِّصَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فيخرج من عموم العذاب الذي صرَّحت به الآية (٩٨)، عزير (عليه السلام)، والمسيح (عليه السلام)، والملائكة؛ الذين أدَّعى الكفار بأنَّ هذه الآية قد شملتهم. قال المهدوي: ((هذا مما لفظه عامٌّ، ومعناه الخصوص، وتخصيصه -في قول ابن عباس- بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. قال ابن عباس: لَمَّا أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؛ قالوا: أليس قد عُبِدَ عزيرٌ، والمسيح، والملائكة، وأنت تقول: إنَّهم لصالحون؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١])).[٣٠٧] وقد بيَّن الجصاص تعسف الكفار حين ذهبوا إلى أنَّ المراد بقوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)؛ هو: المسيح والملائكة؛ قائلًا: ((وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، لم يتناول قط غير الأصنام التي عبدت من دون الله؛ لأنَّ (ما) في اللغة، لغير العقلاء، و(مَنْ) للعقلاء، فمن اعترض عليه بعبادة المسيح، والملائكة، فقد تعسف وذهب عن معنى الآية)).[٣٠٨] فالعموم في هذه الآية يتمثل بعموم خطاب العذاب؛ لا بعموم لفظ (ما)؛ لأنَّ تخصيص هذه الآية بالآية (١٠١) من (سورة الأنبياء)؛ ليس تخصيصا مرتبطًا بلفظ (ما)؛ لأنَّ (عزير، والمسيح، والملائكة)؛ ليسوا من جنس (ما) التي لما لا يعقل كما بيَّن الجصَّاص؛ لذلك جعلت التخصيص هنا ضمن عموم الخطاب لا عموم اللفظ.

المطلب الثاني: (المجمل وتفصيله).

سأتناول في هذا المطلب اللفظ المجمل، في جملة من جمل النَّص القرآني، وتفصيله بجملة أخرى من النَّص القرآني نفسه؛ مما يحقق الحبك النَّصِّي بين جمل النَّص القرآني.

وقبل ذكر الأمثلة التطبيقية على اللفظ المجمل وتفصيله عند علماء العربية؛ لابد من بيان معنى اللفظ المجمل عندهم، وإيضاح الطُّرُق التي يتحقق بها بيان اللفظ المجمل. وذلك على النحو الآتي:

(المجمل)، تعريفه:

هو: ((ما لا ينبئ عن المراد بنفسه، ويحتاج إلى قرينة تفسره)).[٣٠٩] ومعنى ذلك: أنَّ (المجمل): ((يتناول جملة المعنى دون تفصيله، وورد على صفة تقع تحتها صفات وأجناس متغايرة)).[٣١٠] وكذلك قد عُرِّف؛ بأنَّه: ((اللفظ الذي خفي من ذاته خفاءً جعل المراد منه لا يدرك إلا ببيان من المجمل، سواء

أكان ذلك الخفاء لانتقال اللفظ من معناه الظاهر في اللغة إلى معنى مخصوص أراده الشارع، أم لتزاحم المعاني المتساوية، أم كان لغرابة اللفظ نفسه))[٣١١].

طرق بيان اللفظ المجمل في القرآن الكريم:

تتمثل هذه الطُّرُق بعدة أمور هي: (البيان بالقرآن، البيان بقول النبيﷺ، أو بفعلهﷺ، أوبكتابتهﷺ، أو بإشارتهﷺ، أو بإقراره‌ﷺ، أو بسكوتهﷺ، أو بتركهﷺ).[٣١٢]

أمَّا ما يخص طرق بيان المجمل الذي يتحقق به (الحبك النَّصِّي)؛ فيتمثَّل بـ(بيان مجمل القرآن بالقرآن).

أمثلة تطبيقية على (الحبك النَّصِّي بتفصيل المجمل وبيانه):

سأتناول هنا الحبك النصي بتفصيل المجمل، وذلك بأنْ يأتي اللفظ مجملًا في موضع ثم يأتي تفصيله في موضع آخر، بين الجمل المختلفة، سواء أكانت هذه الجمل المختلفة في آية واحدة أم في آيات متعددة، فيتحقق بذلك الإنسجام الدلالي (الحبك) بين أجزاء النص. ومن الامثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۝١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ [الأعراف: ١٣٣، ١٣٤]. فالإجمال الذي في لفظ (الرِّجْزُ)، في قوله: (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ)؛ قد فُصِّل بقوله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ)؛ فـ(الرِّجْزُ) هنا يدخل في باب (الإجمال) بعد التفصيل، فهو اجمال لأنواع العذاب التي أصابت الاقباط. وهو توجيه الطبري.[٣١٣] وقد ذهب الفخر الرازي إلى أنَّ تفصيل لفظ: (الرجز)، هو ما جاء في الآية السابقة له، من الطواعين الخمسة: (الطُّوفَان، وَالْجَرَاد، وَالْقُمَّل، وَالضَّفَادِع، وَالدَّم)؛ لأنَّ (أل) في قوله: (الرجز)؛ هي (أل) العهدية؛ فيحمل لفظ (الرجز) على المعهود السابق من الطواعين الخمسة؛ قال مبينًا ذلك: ((لأنَّ لفظ ﴿□﴾ لفظ مفرد محلى بالألف واللام، فينصرف إلى المعهود السابق، وهاهنا المعهود السابق هو الأنواع الخمسة التي تقدم ذكرها)).[٣١٤]

ومن الأمثلة الأخرى، قوله تعالى:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٦١]. فالإجمال الذي في لفظ (الظُّلْم)، في قوله: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا)، قد فَصَّلَتْهُ الآيات السابقة واللاحقة له. فـ(الظلم) هو نقضهم الميثاق، وكُفرهم بآيات الله، وما دُكِر قبل هذا وبعده. وهو توجيه الطبري،[٣١٥] والنحاس.[٣١٦]

ومن الأمثلة الأخرى، قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾: [البقرة: ١٧٧]. فالإجمال في (الإيمان)، في قوله: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)؛ قد فصَّلَتْهُ الجمل اللاحقة له، وهي: (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)، و(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ)، (وَآتَى الزَّكَاةَ)، (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ)، (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)؛ فكأن إيتاء المال، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر، تفصيل وبيان لأفعال من آمن بالله وأوصافهم. قال المهدوي: ((وإنما الذي بعد قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ تعداد لأفعال من آمن وأوصافِهم)).[٣١٧]

المبحث الثالث
التناص القرآني (تفسير القرآن بالقرآن):

سأتناول في هذا المبحث مفهوم (التناص القرآني) عند الباحثين المحدثين؛ وما يقابله عند علماء العربية، وهو: (تفسير القرآن بالقرآن)، لبيان سبق علماء العربية للباحثين المحدثين في مجال التحليل النصي، ودليل سبقهم هو ما سأذكره من الأمثلة المتعلقة بـتفسير القرآن بالقرآن؛ تحت عنوان (التناصّ القرآني) و تأصيلها بما جاء في كتب المفسرين واللغويين القدامى والمتأخرين؛ فيتضح بذلك قِدَم التحليل النصي عند علماء العربية وأصالتهم في هذا المضمار، مع بيان أنَّ الفارق بين عملهم وعمل المحدثين كما ذكرت مسبقًا يكمن في التبويب والمصطلح، والفضل للمحدثين في هذا الباب هو إحياؤهم للتراث اللغوي العربي عند محاولتهم لجلاء معنى المصطلح الغربي الوافد باسقاطه على النَّص العربي، لاسيما عند تطبيقه على النص القرآني الكريم.

مفهوم (التناصّ) عند علماء العربية:

لم يَعْرِفْ علماء العربية مصطلح (التناص) كعلاقة تماسك نصِّي؛ ولكنَّهم قد امتلكوا بديلًا له؛ وهو (تفسير القرآن بالقرآن)؛ وقد صرَّح الزمخشري بهذا الأمر، في قوله: ((فإنّ القرآن يفسر بعضه

بعضًا)).[٣١٨] وكذلك صرَّح القرطبي (ت٦٧١ه)، في تفسيره؛ بقوله: ((والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضًا)).[٣١٩] وكذلك صرَّح أبو حيان في تفسيره؛ قائلًا: ((والقرآن يفسر بعضه بعضًا)).[٣٢٠] وقد علَّل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣ه)، أهمية هذا النوع من التفسير؛ بقوله: ((لإجماع العلماء على أنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلَّ وعلا من الله جلَّ وعلا)).[٣٢١]

وفي الحقيقة إنَّ (تفسير القرآن بالقرآن) أقدم مما صرَّح به الزمخشري ومن جاء بعده؛ لأنَّ هذا النوع من التفسير قد ظهر مع نزول القرآن، وتمثل بتفسيرات الرسولﷺ، وأهل بيته (عليهم السلام)، وأصحابه (رضوان الله عليهم)، للقرآن بالقرآن. فمن الأمثلة على ما فسره النبيﷺ، قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، فـ(الظلم) في هذه الآية الكريمة؛ فسَّره النبيﷺ؛ بأنَّه: (الشِّرْك)،[٣٢٢] بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. ومن الأمثلة على ما فسره أهل بيته (عليهم السلام) تفسير الإمام علي (عليه السلام) لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥] ، فقد فسَّر الإمام علي (عليه السلام)، (السقف المرفوع)؛ بأنَّه: (السماء)،[٣٢٣] بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. ومن الأمثلة على ما فسره أصحابه ﷺ تفسير سيدنا عمر (رضي الله عنه)، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، ففسَّره؛ بأنَّ معناه: (الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة)،[٣٢٤] بدليل قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]. ثم بعد عصر الصحابة اجتهد التابعون في تفسير القرآن بالقرآن، مثل ابن زيد (رحمه الله)، الذي كان أكثرهم اعتناءً بهذا الطريق،[٣٢٥] ومن الأمثلة على ما فسره ابن زيد، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، فقد فسَّر (الذِّكْر) في هذه الآية؛ بأنَّه: (القرآن)،[٣٢٦] بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [فصلت: ٤١]، وأيضًا بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]. وهذه التفسيرات تدخل في مفهوم (التناص القرآني) كعلاقة (تماسك نصِّي)؛ لأنَّها قد فسَّرت ما جاء مبهمًا في آيةٍ ما بآيةٍ أخرى؛ فتتعاون النصوص القرآنية هنا في إيضاح بعضها بعضًا؛ ممَّا يعمل على تماسكها.

و(تفسير القرآن بالقرآن)، يؤدي أغراضًا ومقاصد كثيرة، منها: (بيان المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وتفسير المفهوم من آية بآية أخرى، وتفسير لفظة بلفظة، وتفسير معنى بمعنى، وتفسير أسلوب في آية باسلوب في آية أخرى)، وغير ذلك مما ذكرته كتب التفسير.[٣٢٧]

مفهوم (التناصّ) عند الباحثين المحدثين :

لقد سلك الباحثون العرب المحدثون وجهةً جديدةً عند بحثهم لعنصر (التناص)؛ كعنصر من العناصر النصية السبعة مغايرة لما جاء به الغربيون المحدثون؛ لأنَّ (التناص) عند اللسانيين النصيين الغربيين يعمل على بيان أثر النصوص الأخرى التي ساعدت في إنشاء هذا النَّص الجديد، ويتضح هذا المفهوم لـ(التناص) عندهم من تعريفاتهم المختلفة له، فقد عرَّفته (جوليا كريستيفا)؛ بأنَّه: ((ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى)).[٣٢٨] وعرَّفه بوجراند؛ بأنَّه: ((أنْ يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بواسطة أم بغير واسطة)).[٣٢٩] وعرَّفه الدكتور صلاح فضل؛ بأنَّ: ((التناص: أنْ يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى)).[٣٣٠] ويعلق الدكتور أحمد عفيفي على هذه التعريفات قائلًا: ((ومن الواضح أنَّ التناص واقع بين نص ما حادث، ومجموعة أخرى من النصوص السابقة عليه، وهو في هذه الحالة يتكون من نقول متضمنة، واشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة...فالنص لا يملك أبًا واحدًا ولا جذرًا واحدًا، بل هو نسق من الجذور))[٣٣١].

أمَّا (التناص) بالمفهوم الجديد الذي قدَّمه الدكتور تمام حسان؛ فإنَّه ينقل مهمة (التناص) من بيانه لتأثر النص المحدث بالنصوص السابقة له؛ والتي تركت أثرها فيه، إلى مهمة جديدة؛ وهي بيان دور التناص في (التماسك النصي)؛ وتتضح هذه المهمة الجديدة للتناص عند الدكتور تمام حسان في تعريفه للتناص؛ بأنَّه: ((علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة : القرآن يفسر بعضه بعضًا)).[٣٣٢]

وقد أكَّد الدكتور عفيفي أنَّ المفهوم الذي قدمه الدكتور تمام حسان لـ(التناص) هو الذي يخدم (نحو النص)، قال: ((وهكذا سيكون للتناص بهذا المفهوم دور كبير في نحو النص، حيث سيؤكد على وجود الروابط على مستوى النص الواحد، وذلك إذا ما لاحظنا علاقة الجواب بالسؤال وعلاقة المفسر بالمفسر، وكذلك سيخدم المعنى في تقليل الاحتمالية الدلالية، وربما تحديد المعنى الذي يغمض

على المتلقي))[٣٣٣]. والذي يعنيه الدكتور عفيفي بـ(نحو النَّص)؛ هو (علم النَّص)؛ فكلاهما يعمل على: ((تحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النَّصِّي)).[٣٣٤]

فـ(التناص) بمفهومه الجديد؛ كعلاقة تماسك نصِّي؛ يمكن تطبيقه على النَّص القرآني؛ حيث يعمل (التناص)؛ على بيان دور النصوص، أو الجمل المؤلفة لنصٍّ ما، ضمن النَّص القرآني الكلِّي، في إيضاح بعضها بعضًا. كما مرَّ في الأمثلة السابقة من تفسيرات النبيﷺ، وآل بيته (عليهم السلام)، وأصحابه (رضوان الله عليهم)، للقرآن بالقرآن.[٣٣٥]

وقد جمع أحد الباحثين المحدثين الأغراض التي يحققها (التناص القرآني) ومقاصده، وهي: (أنْ يكون في الكلام لبس وخفاء؛ فيأتي التناص ليزيل هذا اللبس)، و(أنْ يكون ظاهر الآيات مُشكل؛ فيأتي التناص ويكشف هذا الإشكال، ويوضحه)، و(أنْ يوجد ضمير، ولا يوجد مرجع له، فيأتي التناص ليذكرنا بآية أخرى بها العائد)، و(أنْ يوجد في الآية إجمال يحتاج إلى تفصيل، فيأتي القرآن بآية أخرى أو آيات أخرى تفصِّل ما سبق إجماله)، و(أنْ يكون هناك قول أو تساؤل يحتاج إلى إجابة عن هذا التساؤل أو رد على هذا التساؤل).[٣٣٦] وهذه المقاصد والأغراض لا تخرج عمَّا ذكره المفسرون العرب؛ تحت مفهوم (تفسير القرآن بالقرآن)؛ من: (بيان المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وتفسير المفهوم من آية بآية أخرى، وتفسير لفظة بلفظة، وتفسير معنى بمعنى، وتفسير أسلوب في آية باسلوب في آية أخرى، وغير ذلك مما ذكرته كتب التفسير).[٣٣٧]

أمثلة تطبيقية على (التناص القرآني):

سأتناول هنا (التناص القرآني)؛ كعلاقة تماسك نصِّي؛ في كتاب المفسرين القدامى والمتأخرين؛ وفقًا لمفهوم (تفسير القرآن بالقرآن)؛ لأنَّ علماء العربية قد سبقوا الباحثين النصيِّين في هذا الميدان من حيث التطبيق؛ فضلًا عن وضوح هذه التسمية على التسمية الغربية الوافدة؛ لذلك وضعت (تفسير القرآن بالقرآن) عنوانًا لهذا المبحث.

وقد بيَّنت أنَّ المفسرين العرب والباحثين المحدثين؛ قد ذكروا أغراضًا كثيرة لـ(التناص القرآني)؛ وتلتقي بعض هذه الأغراض مع (تخصيص العام) و(بيان المجمل)؛ اللذان بحثتُهما في المبحث السابق؛ لذلك لن أتناولهما بالذكر هنا، وسأعمل على التمثيل لـ(تفسير القرآن بالقرآن)، سواء أكان هذا التفسير بين آيات السورة الواحدة، أم بين آيات السور المختلفة. لذلك جاء (تفسير القرآن بالقرآن) كعلاقة تماسك نصِّي على قسمين، هما:

(تفسير القرآن بالقرآن) داخل السورة الواحدة :

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]. فـ(الحُجَّة) التي آتاها اللهُ ﷻ إبراهيمَ عليه السلام، في قوله: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ)، قد فسرها، بقول إبراهيم، وهو: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١]. وهو توجيه الطبري.(٣٣٨)

ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ﴾ [الأنفال: ١٩] وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. فمعنى (تَسْتَفْتِحُوا) في الآية (١٩)، قد فسرته الآية (٣٢) من السورة نفسها. قال المهدوي: ((﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ﴾: وقيل: قيل لهم ذلك؛ لقولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾)).(٣٣٩) ولم أقف على قائله، وقد ذكره البقاعي (ت٨٨٥هـ)،(٣٤٠) ولم ينسبه.

ولنأخذ مثالًا آخر، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٦ - ٧٨]. فـ(قَوْلُهُمْ)، في قوله تعالى: (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ)؛ لم يُذْكَر في هذه الآية، بل ذُكِرَ في الآية (٧٨)، وهو قول أحد المشركين: (مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ). قال المهدوي: ((يعني: قول الذي قال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨])).(٣٤١) وقد انفرد المهدوي بهذا التفسير ولم يذكره أحد قبله. وذكره ابن عطية ولم ينسبه للمهدوي.(٣٤٢)

(تفسير القرآن بالقرآن) على امتداد السور المختلفة :

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤]. فقوله: (لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)؛ قد فسره المهدوي بـ(الجبل) الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وهو تفسير مكي بن أبي طالب؛ قال: ((هو الجبل الذي جعله الله دكاً إذ تجلى إليه، خرَّ لَهُ)).(٣٤٣)

ومن أمثلته أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]. فقوله (مُبَشِّرِينَ) فُسِّرَ بما جاء في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. قال المهدوي: ((قال الحسن: ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: بسِعة الرزق في الدنيا، والثوابِ في الآخرة؛ يدُلُّ على ذلك قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]))،[٣٤٤] وكذلك ذكره القرطبي.[٣٤٥]

ومما يعزز المثالين السابقين، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]. فمعنى (الشر)، قد فُسِّر بـ(دعاؤهم على أنفسهم بالعذاب)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: [الأنفال: ٣٢]. وهو توجيه الزجاج،[٣٤٦] والنحاس.[٣٤٧] وكذلك ذكره المهدوي[٣٤٨] والبقاعي.[٣٤٩]

هوامش البحث ومصادره

(١) الفرق بين هاتين التسميتين، بيَّنه (فان دايك)؛ بقوله: ((ففي المجال اللغوي الفرنسي سمي علم النص وفي الإنجليزية سمي تحليل الخطاب)). علم النص، فان دايك: ١٤.

(٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٧.

(٣) علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ١٠١-١٠٢.

(٤) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٣.

(٥) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٢.

(٦) علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ١١٠.

(٧) لسانيات النص، كيرستن آدمتسيك: ١١٤. وينظر: لسانيات النص، أ.د. ليندة قياس: ٤٦.

(٨) ينظر: مفهوم النص في الفكر اللغوي المعاصر: ٢٣، وفقدان المتلقي لا يعني فقدان التواصل عند (ياكبسون)، قالت أ.د. ليندة قياس: ((يميز رومان جاكبسون نوعًا آخر من التواصل وهو التواصل الداخلي أو تواصل الشخص مع نفسه، حيث يمثل لذلك من خلال الشبكة التواصلية التي تضم المرسل والمرسل إليه الذين تتشكل بينهما علاقات متنوعة))، من كتابها (لسانيات النص): ٣٩، وينظر:الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ياكوبسون: ٥٧.

(٩) مفهوم النص في الفكر اللغوي المعاصر: ١٨.

(١٠) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣-١٠٤، لسانيات النص، كيرستن آدمتسيك: ١١٢.

(١١) ينظر: المعايير النصية في السور القرآنية: ٢٦.

(١٢) علم النَّص، فان دايك: ١١.

(١٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١/ ٤٧٥.

(١٤) دلائل الإعجاز: ١/ ٨٢.

(١٥) الانتصار لسيبويه على المبرد: ٦١.

(١٦) شرح المفصل: ٢/ ٢٧٨.

(١٧) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٤٩، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١/ ٤٧٩، الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ٩٧.

(١٨) ديوان زهير بن أبي سُلمى: ٧٧.

(١٩) البديع في نقد الشعر: ١٦٣.

(٢٠) تحليل النص: ١٧.

(٢١) ينظر: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: ٥٤.

(٢٢) علم لغة النص، د.عزَّة شبل: ٩٩.

(٢٣) معاني القرآن، للفراء: ٣/ ٢٨٧.

(٢٤) تأويل مشكل القرآن: ١٤٩.

(٢٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٩-١٠.

(٢٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٥١.

(٢٧) التحصيل: ١/ ٣٦٧.

(٢٨) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ١٠-١١.

(٢٩) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٤.

(٣٠) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦.
(٣١) هو: د.الأزهر الزناد، ينظر: كتابه (نسيج النص): ١١٩.
(٣٢) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦.
(٣٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/ ١٨٠.
(٣٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢١٣.
(٣٥) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٥/ ١٤.
(٣٦) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ٣٣٦-٣٣٧.
(٣٧) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ٥٩.
(٣٨) ينظر: معانى القرآن، للأخفش: ١/ ١٤٢-١٤٣.
(٣٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٧١.
(٤٠) المصدر نفسه: ٢/ ٤٦٠، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣/ ١٧٢١.
(٤١) ينظر: أسباب النزول: ١٩٨، نواسخ القرآن: ٢/ ٤١٠.
(٤٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ٨٧-٨٨.
(٤٣)أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٣٧٦.
(٤٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٥٨٦، البحر المحيط في التفسير: ٤/ ١٢٤.
(٤٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ٤١٣.
(٤٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٤/ ١٨-٢١.
(٤٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٤٢٠.
(٤٨) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٣٢.
(٤٩) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢/ ٦.
(٥٠) ينظر: الصناعتين: ٣٠٧، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢١١.
(٥١) ينظر: لسان العرب، (طبق): ١٠/ ٢١١.
(٥٢) الفلك الدائر على المثل السائر: ٤/ ٣٠٠.
(٥٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢١٢.
(٥٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٤٥٨.
(٥٥) جاء في لسان العرب، (يقظ): ((اليَقَظةُ: نَقِيضُ النوْم)). ٧/ ٤٦٦.
(٥٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٤٥٨-٤٥٩.
(٥٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٤٥٩.
(٥٨) التضام وقيود التوارد: ١١١، وينظر: (مخطط التضام) في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٢.
(٥٩) لسانيات النص، د.محمد خطابي: ٢٤.
(٦٠) مدخل إلى علم لغة النص، ديبوغراند، دريسلر: ١١.
(٦١) ينظر: الصحاح، (ورد): ٢/ ٥٤٩.
(٦٢) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٩٨.
(٦٣) الصحاح، (طيب): ٢/ ١٩٢، وينظر: لسان العرب، (طيب): ١/ ٥٦٣.

(٦٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢/ ٤٩٦.

(٦٥) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٢/ ٥٨.

(٦٦) الصحاح ، (عرف): ٥/ ٨٧، وينظر: لسان العرب، (عرف): ٩/ ٢٣٦.

(٦٧) التحصيل: ٣/ ٣١١.

(٦٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٤٧٥-٤٧٦.

(٦٩) التحصيل: ٥/ ١٠٠، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ١١/ ٧٢٢٠.

(٧٠) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/ ١١٤.

(٧١) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٢٤٣.

(٧٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٤٥.

(٧٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢/ ٢٣.

(٧٤) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٤/ ٢٠٥.

(٧٥) أمالي ابن الحاجب: ٢/ ٦٨٣، وينظر: البديع في علم العربية: ٢/ ٢٤٥.

(٧٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥/ ٦٠١-٦٣٢.

(٧٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٤/ ٢٤. وكتاب ابن الأنباري الذي أشار إليه الزركشي، هو كتاب (الهاءات في كتاب الله)، وقد حقَّق جزءً منه الدكتور حسين آل ياسين، في مجلة البلاغ العراقية، العدد: الرابع، السنة: ١٩٧٦.

(٧٨) المصدر نفسه: ٤/ ٢٤-٣٠.

(٧٩) البيت لعامر بن جُوَين الطائي، ينظر: الكتاب: ٢/ ٤٦، الكامل في اللغة و الأدب: ٣/ ٦٨.

(٨٠) أمالي ابن الحاجب: ١/ ٣٥٢-٣٥٣.

(٨١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٤/ ٣٨-٣٩.

(٨٢) المصدر نفسه: ٢/ ٤٨٨-٤٨٩.

(٨٣) النص والخطاب والإجراء: ٣٣٢.

(٨٤) المصدر نفسه: ٣٣٢.

(٨٥) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٦-١٧.

(٨٦) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٧-١٨.

(٨٧) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٣٧.

(٨٨) ينظر: العجاب في بيان الأسباب: ٢/ ٨٨٩.

(٨٩) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ٢٧٥.

(٩٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٨/ ٤٨٢.

(٩١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٦٤-٦٥.

(٩٢) التحصيل: ٣/ ٣٩٠، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/ ٣٣٧٩.

(٩٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢/ ٥.

(٩٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥/ ٢٥٨.

(٩٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢/ ٥٢.

(٩٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ١٩٨.

(٩٧) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٣/ ٤٥٠.

(٩٨) إعراب القرآن، للباقولي: ٢/ ٥٦٥.

(٩٩) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ١١١. ٢/ ٣٧٢.

(١٠٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٣/ ٤٠٣-٤٠٥.

(١٠١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٢٥١.

(١٠٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/ ١٢٥.

(١٠٣) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٢٥١.

(١٠٤) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: ٤٤٩.

(١٠٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣/ ١١٨.

(١٠٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠/ ٢٩٨.

(١٠٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/ ٣١٥.

(١٠٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٧/ ٢٣٠٦.

(١٠٩) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٤/ ١١٠.

(١١٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٣٢٢.

(١١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٢/ ٤٥٥.

(١١٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ١٥٥.

(١١٣) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: ٩١.

(١١٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٥/ ١٤٦-١٥٨.

(١١٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٣١٩.

(١١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٢/ ٤٤٥.

(١١٧) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ١/ ٢٣٣-٢٣٧.

(١١٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٧/ ٢٣٢-٢٣٣.

(١١٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١١/ ٥١٩.

(١٢٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٧٠.

(١٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٤/ ١٣٣٩-١٣٤٠.

(١٢٢) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٢/ ٤٥٥-٤٥٦.

(١٢٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٧/ ٢٣١-٢٣٢.

(١٢٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٣/ ٧٦٩.

(١٢٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢/ ١١٣.

(١٢٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٤/ ١٣٨٦.

(١٢٧) منازل الحروف: ٧٠.

(١٢٨) الخصائص: ٢/ ٣٦٠.

(١٢٩) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١٧٥.

(١٣٠) المصدر نفسه: ١٧٥.

(١٣١) الخصائص: ٢/ ٣٦١.

(١٣٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١/ ٥٩١.

(١٣٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١٧٥.

(١٣٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ١٢١.

(١٣٥) أي: أنَّ المحذوف يستدل عليه بما هو مذكور في سورة أخرى. وسأفصِّل القول في هذا النوع من الحذف، ينظر: الأطروحة: ٤٧.

(١٣٦) ينظر على سبيل المثال: سورة التوبة: الآية (١٠٥)، وسورة الرعد: الآية (٩)، وسورة المؤمنون: الآية (٩٢)، وسورة السجدة: الآية (٦).

(١٣٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣/ ١٢٠.

(١٣٨) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٢٤٥.

(١٣٩) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٠.

(١٤٠) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢١، عنوان كتابهما (الاتساق في الإنجليزية)، ولم أجده مترجمًا في كتاب مستقل، وجميع آرائهما قد ترجمها من نقل عن كتابهما.

(١٤١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢١.

(١٤٢) المصدر نفسه: ٢٢.

(١٤٣) المصدر نفسه: ٢٢.

(١٤٤) ينظر: علم اللغة النصي: ٢/ ١٨٦-٢٠٣، العلاقات النصية في لغة القرآن: ٢٢٥.

(١٤٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٧/ ١٩٢.

(١٤٦) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ١/ ١٨٠.

(١٤٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٦/ ٢٦.

(١٤٨) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٢/ ٤٩٣-٤٩٤.

(١٤٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٤٣٨.

(١٥٠) التحصيل: ٥/ ١١٦، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨/ ٥٤٨٠.

(١٥١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩/ ٥١٢.

(١٥٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ١٣٠.

(١٥٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٩/ ٢٩٣٧.

(١٥٤) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٥/ ١٥١.

(١٥٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/ ٢٧٢.

(١٥٦) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ١٥.

(١٥٧) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٢.

(١٥٨) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٩-٢٢.

(١٥٩) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٣.

(١٦٠) المصدر نفسه: ١٢٤.

(١٦١) المصدر نفسه: ١٢٤.

(١٦٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٢/ ١٠٩٩.

(١٦٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢/ ٥٧.

(١٦٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ١٦٤.

(١٦٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ١٤٨.

(١٦٦) التحصيل: ٦/ ٢٥٥.

(١٦٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٨/ ٥١٨.

(١٦٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤/ ٢٧٠.

(١٦٩) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥/ ٥٧٧-٥٩٧.

(١٧٠) شرح كتاب سيبويه: ٢/ ٤٥٩.

(١٧١) علل النحو: ١٩٨.

(١٧٢) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٩.

(١٧٣) أسرار العربية: ٢٠٤.

(١٧٤) المقرب: ١/ ٢٢٩.

(١٧٥) وقد اختلِفَ في العطف بـ(لكنْ) و(إما) و(إلَّا) و(ليس) و(أي)، ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ٣٤٣.

(١٧٦) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(١٧٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦.

(١٧٨) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٩.

(١٧٩) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٣.

(١٨٠) المصدر نفسه: ٢٣.

(١٨١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣-٢٤.

(١٨٢) النَّص والسياق: ١٢٨.

(١٨٣) المصدر نفسه: ٨٢ ، ٨٤.

(١٨٤) ينظر: الربط وأثره في البناء النصي: ١٠٢.

(١٨٥) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٣.

(١٨٦) المقتضب: ١/ ١٠، وينظر: علل النحو: ٣٧٧، الجنى الداني في حروف المعاني: ١٥٨.

(١٨٧) ينظر: الإيضاح العضدي: ٢٨٩.

(١٨٨) شرح المفصل: ٢/ ٢٧٨.

(١٨٩) (يتوبُ) بالرفع: قراءة الجمهور، و(يتوبَ) بالنصب على إضمار (أنْ)، قراءة: الأعرج، وابن أبي إسحاق، وعيسى الثقفي، وعمرو بن عبيد، ورويس، ويونس عن أبي عمرو. ينظر: المحتسب: ١/ ٢٨٤، النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٧٨، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٣٠٢.

(١٩٠) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: ٢/ ٦٩١.

(١٩١) ينظر: المحتسب: ١/ ٢٨٥.

(١٩٢) المقتضب: ١/ ١٠، وينظر: الإيضاح العضدي: ٢٨٦، البديع في علم العربية: ١/ ٣٦٩.

(١٩٣) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: ٣٠٣.

(١٩٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٨٤-٨٥.

(١٩٥) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ١/ ٢٢٩.

(١٩٦) ينظر: المقتضب: ١/ ١٠، الإيضاح العضدي: ٢٨٦، البديع في علم العربية: ١/ ٣٦٩.

(١٩٧) الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٣٠.

(١٩٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٣٠٦.

(١٩٩) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٦٩٣.

(٢٠٠) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢/ ٤١٥.

(٢٠١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ٣٥٧.

(٢٠٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٢٢٧، وينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٧٤.

(٢٠٣) التحصيل: ٣/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٢٠٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣/ ١٢٤.

(٢٠٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٦٩.

(٢٠٦) ينظر: المقتضب: ١/ ١٢، الأصول في النحو: ٢/ ٥٧.

(٢٠٧) ينظر: الوجوه والنظائر: ١٣٨-١٣٩، شرح المفصل: ٥/ ٢٧، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ١٨٤-١٨٥.

(٢٠٨) ينظر: الإيضاح العضدي: ٢٩٠، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٣٦-٢٣٧، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ١٨٦-١٨٧، شرح الأزهرية: ٣٦، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٢/ ٩٣.

(٢٠٩) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ١٨٧.

(٢١٠) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٧.

(٢١١) التحصيل: ٤/ ٣٦٧.

(٢١٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٦/ ٥٥.

(٢١٣) التحصيل: ٢/ ٥٧٠.

(٢١٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣/ ١٢٣.

(٢١٥) ينظر: الكتاب: ١/ ٢٥٧.

(٢١٦) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١/ ٨٢.

(٢١٧) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٥٧.

(٢١٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٢١٣.

(٢١٩) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ١/ ٤٦٤.

(٢٢٠) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٥٧.

(٢٢١) ينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٥٨، الإيضاح العضدي: ٢٩١، شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ٣٥٧، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٠٥-٢٠٦.

(٢٢٢) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٧٨.

(٢٢٣) التحصيل: ٣/ ٢٢٨.

(٢٢٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٢١.

(٢٢٥) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ١٨٦-١٨٧.

(٢٢٦) الكتاب: ٣/ ١٨٨، وينظر: شرح كتاب سيبويه: ٣/ ٤٥٠، البحر المحيط في التفسير: ٩/ ٣٨١-٣٨٢.

(٢٢٧) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة (٧٠): ٢/ ٣٨٣.

(٢٢٨) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ٣٥٧-٣٦٣، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٧٩، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٤١٧-٤١٨، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٢٩.

(٢٢٩) ينظر: البديع في علم العربية: ١/ ٣٦٣.

(٢٣٠) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٢/ ١٣٢٤.

(٢٣١) ينظر: معانى القرآن، للأخفش: ١/ ٣٥.

(٢٣٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/ ١١٥.

(٢٣٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣١٤.

(٢٣٤) وقد بيَّنت مسبقًا أنَّ (فاء السببية): تشترك عند النحاة بين الفاء المسبوقة بشرط، وبين الفاء التي يكون ما بعدها مُسَبَّبًا عمَّا قبلها فتفيد التعليل له؛ وهي في الحالتين لا تفيد العطف. ينظر: الاطروحة: ٧٩.

(٢٣٥) ينظر: المقتضب: ٢/ ٧٠-٧١، حروف المعاني والصفات: ٦٤، الإيضاح العضدي: ٢٨٦، البديع في علم العربية: ٢/ ٤٤٠.

(٢٣٦) اللمع في العربية: ١٣٥.

(٢٣٧) شرح كتاب سيبويه: ٢/ ٤٥٩.

(٢٣٨) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٣٩.

(٢٣٩) شرح المقدمة المحسبة: ١/ ٢٥٠.

(٢٤٠) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٨٤-٨٥.

(٢٤١) (التعريض): من الفنون البلاغية، وهو: ((طريقة من الكلام أَخفى من الكنايةِ فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني، ولا مصاحبةٌ، ولا مُلابسة ما بين الكلام وما يُرادُ الدّلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهناً بها من توجيه الكلام))، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ١٥٢.

(٢٤٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥/ ٢١٧.

(٢٤٣) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١١٠.

(٢٤٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ٣/ ١٠٨٨.

(٢٤٥) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٠٩-٢١٠، مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٩٧، البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/ ٤٢.

(٢٤٦) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/ ٣٨.

(٢٤٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/ ٣٩.

(٢٤٨) ينظر: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٧.

(٢٤٩) مفتاح العلوم: ٢٧٧.

(٢٥٠) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٤٢٥.

(٢٥١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ٤٢٥-٤٢٦.

(٢٥٢) دلائل الإعجاز: ١/ ٤٥.

(٢٥٣) النكت في القرآن الكريم: ٢٤٩-٢٥٠.

(٢٥٤) ينظر: الأطروحة: ٩.

(٢٥٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩٨.

(٢٥٦) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٠٥

(٢٥٧) الواضح في أصول الفقه: ١/ ١٨٥.

(٢٥٨) النص والخطاب والإجراء: ١٨٢-١٨٣.

(٢٥٩) ينظر: المصدر نفسه، (الترابط الرصفي): ١٢٧-١٧٠.

(٢٦٠) حبك النَّص منظورات من التراث العربي: ٥٥.

(٢٦١) المصدر نفسه: ٥٥.

(٢٦٢) ينظر: النص والسياق،(اتساق فحوى الخطاب): ١٤٢، ١٥٤، لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٨-٤٠.

(٢٦٣) ينظر: النص والسايق،(المعلومات الصريحة والضمنية في الخطاب): ١٥٦-١٦٣، لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٤٠-٤٢.

(٢٦٤) ينظر: المصدر نفسه،(البنيات الكبرى الشاملة): ١٨٣-٢٢١، لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٤٢-٤٦.

(٢٦٥) ينظر: لسانيات النَّص، د.محمد خطابي: ٣٤-٤٢، علم لغة النَّص، د.عزة شبل: ١٨٧-٢٠٠، لسانيات النَّص، أ.د. ليندة قياس: ١٣٨-١٦١، الانسجام النصي وأدواته: ٧٧-٧٩.

(٢٦٦) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٤٠-٤٢.

(٢٦٧) ينظر: البلاغة العربية،أسسها وعلومها وفنونها: ٢/ ٧.

(٢٦٨) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٧.

(٢٦٩) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٦، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١/ ٥٧٥.

(٢٧٠) التحصيل: ٣/ ٢٥٠.

(٢٧١) المصدر نفسه: ٣/ ٣٢٤.

(٢٧٢) النص والسياق: ٢١٢.

(٢٧٣) عتبات النَّص البنية والدلالة: ١٨.

(٢٧٤) ينظر: الأطروحة: ٨٩.

(٢٧٥) التحصيل: ٢/ ٤٤٤.

(٢٧٦) التحصيل: ٢/ ١٠٥.

(٢٧٧) النص والسياق: ١٥٤.

(٢٧٨) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٩.

(٢٧٩) المحصول: ٢/ ٣٠٩، وينظر: نهاية الوصول في دراية الأصول: ٣/ ١٢٢١-١٢٢٢، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: ٢/ ١٠٣.

(٢٨٠) الإحكام في أصول الأحكام: ٢/ ١٩٦.

(٢٨١) تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: ٢/ ٩-١٠.

(٢٨٢) ينظر: المحصول: ٢/ ٣١٠-٣١١، نفائس الأصول في شرح المحصول: ٤/ ١٧٣٨، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: ٢/ ١٠٣-١٠٨.

(٢٨٣) ينظر: الورقات: ١٦، المحصول: ٢/ ٣١١-٣١٢، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: ٢/ ١١٣-١١٧.

(٢٨٤) ينظر: التحصيل من المحصول: ١/ ٣٨٦-٣٩٤، الإبهاج في شرح المنهاج: ٢/ ١٧٦-١٨٢، شرح الورقات في أصول الفقه: ١٣٩-١٤٤.

(٢٨٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

(٢٨٦) التحصيل: ٣/ ٣٧٩.

(٢٨٧) المصدر نفسه: ٣/ ٣٨٥.

(٢٨٨) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١٥٦.

(٢٨٩) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي: ٣/ ١٥.

(٢٩٠) مفاتيح الغيب: ١٧/ ٣٢٧.

(٢٩١) التحصيل: ٤/ ٣٦٥، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧/ ٤٧٢٦.

(٢٩٢) مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١١٩.

(٢٩٣) التحصيل: ٢/ ٤٧٧، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣/ ١٧٨٨-١٧٨٩.

(٢٩٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٢٠٩.

(٢٩٥) المعتمد في أصول الفقه: ١/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٢٩٦) ينظر: الورقات: ١٧، قواطع الأدلة في الأصول: ١/ ١٨٤، إيضاح المحصول من برهان الأصول: ٣١٧.

(٢٩٧) ينظر: الناسخ والمنسوخ، لقتادة: ٣٤-٣٥.

(٢٩٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس: ٢١١.

(٢٩٩) ينظر: الفصول في الأصول: ١/ ٢٧٦.

(٣٠٠) ينظر: العدة في أصول الفقه: ٢/ ٦١٤.

(٣٠١) ينظر: اللمع في أصول الفقه: ٣٨.

(٣٠٢) التحصيل: ١/ ٢١٠.

(٣٠٣) مفاتيح الغيب: ٣/ ٤٩٦.

(٣٠٤) مفاتيح الغيب: ٣/ ٤٩٧.

(٣٠٥) المصدر نفسه: ٣/ ٥٠٣.

(٣٠٦) ينظر: حجج القرآن: ٧٧.

(٣٠٧) التحصيل: ٤/ ٤٠٠.

(٣٠٨) الفصول في الأصول: ١/ ٣٩٣.

(٣٠٩) العدة في أصول الفقه: ١/ ١٤٢، وينظر: اللمع في أصول الفقه: ٤٩.

(٣١٠) الحدود في الأصول: ١٠٧.

(٣١١) تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: ١/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٣١٢) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول: ١/ ٢٩٤، المحصول: ٣/ ١٧٥-١٧٩، البحر المحيط في أصول الفقه: ٣/ ٦٨.

(٣١٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٣/ ٧٠-٧١.

(٣١٤) مفاتيح الغيب: ١٤/ ٣٤٧.

(٣١٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٩/ ٣٩٠.

(٣١٦) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ١/ ٢٤٩.

(٣١٧) التحصيل: ١/ ٤١٠.

(٣١٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٤٣٠.

(٣١٩) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٣٥٣.

(٣٢٠) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٣٦٣.

(٣٢١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١/ ٨.

(٣٢٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/ ١٤- ١٥.

(٣٢٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢/ ٤٥٨، وينظر: فصول في أصول التفسير: ٣١.

(٣٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤/ ٢٤٤، وينظر: المصدر نفسه: ٣١.

(٣٢٥) ينظر: فصول في أصول التفسير: ٣٥.

(٣٢٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣/ ٤٦٧- ٤٦٨.

(٣٢٧) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١/ ١١-٣٦، التفسير والمفسرون: ٣٧-٤٢، فصول في أصول التفسير: ٢٣.

(٣٢٨) علم النص، جوليا كرسطيفا: ٢١.

(٣٢٩) النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(٣٣٠) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٢٩.

(٣٣١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٨١-٨٢.

(٣٣٢) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣٣٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٨٣.

(٣٣٤) المصدر نفسه: ٣١.

(٣٣٥) ينظر: الأطروحة: ١١٢-١١٣.

(٣٣٦) المعايير النصية في السور القرآنية: ١٧٤.

(٣٣٧) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١/ ١١-٣٦، التفسير والمفسرون: ٣٧-٤٢، فصول في أصول التفسير: ٢٣.

(٣٣٨) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١١/ ٤٩٠، ٥٠٤، ٥٠٥.

(٣٣٩) التحصيل: ٣/ ١٦٥.

(٣٤٠) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٣٤١) التحصيل: ٥/ ٤١٢-٤١٣.

(٣٤٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٣٤٣) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١/ ٣١٤.

(٣٤٤) التحصيل: ٢/ ٥٨٧.

(٣٤٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٤٢٩.

(٣٤٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٨.

(٣٤٧) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٣/ ٢٨٠.

(٣٤٨) التحصيل: ٣/ ٣٢٥-٣٢٦، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٥/ ٣٢٣٠.

(٣٤٩) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/ ٨٢.